

سُبْحَانَكَ يَا بَلِيَّسُ إِلَى إِخْوَانِ الْمَنَاحِيصِ

Karramah, al-Muhassin ibn Muham
lat Iblīs ilā ikhwānīhi al-manāḥi

لِلْحَاكِمِ أَبِي سَعْدٍ الْمُحْسِنِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ كَرَامَةِ الْجُمُعِيِّ الْبَغْدَادِيِّ
الْمَوْفُودِ سَنَةِ ٤٩٤ هـ

تَحْقِيقُ

حَبِيبُ الْمُدَرِّسِ الطَّبَّاطِبَائِيِّ

٢٨٨١ - ٢٠٣١

رسالة إبليس إلى إخوانه المنحجسين

Ibn Karramah, al-Muḥassin ibn Muḥammad
Risālat Iblīs ilā ikhwānihi al-manāḥis

للمصنف أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة الحنفي البغلي
المنقولة سنة ١٩٤ هـ

تحقيق
حسين المدرسي الطباطبائي

طبع من هذا الكتاب مائة نسخة
على نفقة المحقق

١٤٠٦ -- ١٩٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

تأريخ البحث في مسألة القضاء والقدر في المجتمع الاسلامي يساوي تقريباً عمر هذا المجتمع ، فطبيعة طرح المسألة في القرآن الكريم الذي ينسب الهداية والضلالة الى الله تعالى^(١) كانت كافية لبدء هذه الابحاث من دون حاجة الى أن تستورد الشبهات من اليهود والمسيحيين ، وان كانت لهذه الابحاث سابقة قديمة بين هؤلاء وبخاصة في اللاهوت المسيحي التي ربما أثير بعض الشيء في بعض المناظرات الكلامية التي ظهرت في الادوار المتأخرة .

وقد حفظت لنا كتب الحديث بعض النماذج الاولى من هذه المناظرات ، أقدمها ما يعود الى سنة ٣٨ ، فقد روي بأسناد عديدة - سنية وشيعية - أنه لما انصرف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من صفين قام اليه شيخ ممن شهد الواقعة معه فقال : يا أمير المؤمنين ! أخبرني عن مسيرنا هذا أكان بقضاء من الله وقدر ؟ قال له أمير المؤمنين : أجل يا شيخ ! فو الله ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن

١. راجع قائمة بهذه الايات في بحار الانوار للمجلسي ٥ : ٨٤ - ٨٦ (بيروت

- ١٩٨٣) .

واد الإبقاء من الله وقدر . فقال الشيخ : أعند الله احتسب عنائي يا أمير المؤمنين؟
فقال : مهلا يا شيخ ! لعلك تظن قضاء حتماً وقدرأ لازماً ، لو كان كذلك لبطل
الثواب والعقاب والامر والنهي والزجر ، ولسقط معنى الوعد والوعيد ، ولم
تكن على مسيء لائمة ولا لمحسن محمودة . (١) .

وقد مر الامام علي في أيام خلافته بجماعة بالكوفة يختصمون في القدر
فكلمهم فيه (٢) . وقد حفظت لنا المصادر رسالة كتبها الحسن البصري الى الامام

١. رسالة الجبر والتفويض المنسوبة الى الامام علي بن محمد الهادي (المتوفى
٢٤٠) ، المندرجة في كتاب تحف المقول لابن شعبة الحراني (القرن الرابع) :
٣٤٦ (بيروت - ١٣٩٤) / الكافي للكليني ١ : ١٥٥ / التوحيد للصدوق :
٣٨٠-٣٨٢ (طهران - ١٣٨٧) / عيون أخبار الرضا ، للصدوق : ٧٩ / الارشاد
للمفيد : ١٢٠ - ١٢١ (نجف - ١٣٨٢) / كنز الفوائد للكرجكي : ١٦٩ -
١٧٠ / الفصول المختارة للمرتضى : ٤٤ - ٤٦ / أمالي المرتضى ١ : ١٥٠ -
١٥١ / روضة الواعظين للفتال النيسابوري : ٣٦ - ٣٧ / النقص لعبد
الجليل الرازي : ٤٩٥ - ٤٩٦ (طهران - ١٣٩٩) / متشابه القرآن لابن شهر
آشوب : ١٩٧ - ١٩٨ / الطرائف لابن طاوس : ٣٢٦ - ٣٢٧ (قم - ١٤٠٠)
عن كتاب الفائق للزمخشري / الاحتجاج للطبرسي ١ : ٣١٠ - ٣١١ (نجف -
١٣٨٦) / كشف المراد للعلامة الحلي : ٢٤٧ (قم - بدون تأريخ) / اللوامع
الالهية للمقداد السيوري (تبريز - ١٣٩٦) : ١٣٩ - ١٤٣ / الصراط المستقيم
للبياضي (طهران - ١٣٨٤) : ٣ : ٦٤ - ٦٥ عن تجارب الامم لابن مسكويه /
معادن الحكمة لعلم الهدى ١ : ٣٠ - ٣١ / بحار الانوار ٥ : ١٢ : ١٤ و ٧٥
- ٧٦ و ٩٥ - ٩٦ و ١٢٥ - ١٢٦ .

٢. كتاب التوحيد للصدوق : ٣٥٢ - ٣٥٣ / بحار الانوار ٥ : ٣٩ / معادن
الحكمة ٢ : ٤٧ . وانظر قصة النجاشي الشاعر مع أهل الكوفة وهجائه لهم
لقولهم بالقدر في الشعر والشعراء لابن قتيبة ١ : ٣٣٠ (القاهرة - ١٣٦٦ بتحقيق
أحمد محمد شاكر) والاصابة لابن حجر العسقلاني ١٠ : ٢٠٥ (القاهرة -
١٣٩٦) .

الحسن بن علي في مسألة القدر ورد الامام عليه ، يرجع تأريخهما على أرجح الاحتمالات الى الفترة القصيرة التي تصدى الامام فيها بالخلافة (رمضان ٤٠ - ربيع الاول ٤١) . جاء في رسالة الحسن : « يا ابن رسول الله ان الناس قد اختلفوا في القدر فان رأيت أن تكتب الينا بما ألقاه الله عليكم أهل البيت فافعل » . فأجابه الامام : « أما بعد - فانه من لسم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر ومن حمل ذنوبه على الله فقد فجر ، ان الله لم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً ولم يهمل العباد سدى في الهلكة ، بل هو المالك اما ملكهم والقادر على ما عليه أقدرهم ، فان ائتمروا بالطاعة لم يجدوا عنها صاداً ولا مبطئاً وان ائتمروا بالمعصية فشاء أن يحول بينهم وبينها فعل ، فان لسم يفعل فليس هو الذي أدخلهم فيها جبراً ولا حملهم عليها قسراً بل مكنه اياهم بعد اعداره وانذاره لهم واحتجاجه عليهم ، وجعل لهم السبيل الى أخذ ما اليه دعاهم وترك ما عنه نهاهم »^(١) .

ثم كثر الحديث عن المسألة في العهد الاموي ، حفظت المصادر القديمة عديداً منه في طبائعه ، كما أنه بقي رسائل مفردة نشر أكثرها . وبدأ علم الكلام

١ . كتاب التكليف للشلمغاني المتوفى ٣٢٢ (المطبوع باسم فقه الرضا) : ٥٥ / تحف العقول لابن شعبة الحراني : ٢٣١ / معادن الحكمة لعلم الهدى ٢ : ٢٩ - ٣٠ / متشابه القرآن لابن شهر آشوب : ٢٠٠ / بحار الانوار ٥ : ٤٠ - ٤١ و ١٢٣ - ١٢٤ . روى النصان في بعض هذه المصادر ملخصاً وفي بعضها كاملاً ، وهناك اختلافات يسيرة ايضاً في بعض الالفاظ . ويوجد النص في بعض المخطوطات القديمة ايضاً ، منها مخطوطة رقم ١٠٢٢ بالمكتبة المركزية لجامعة طهران التي يأتي النص فيها في ورقة ١٧٤ يتبعه نص الرسالة التي كتبها عبد الملك بن مروان الى الحسن البصري وجوابها . والنص الذي نقلناه أعلاه يوافق هذه المخطوطة الا في السطر الاخير .

الاسلامي ينمو ويتطور من هذا المنطلق ليصل الى مابالغ اليه في الاعصار التالية.

* * *

وكان من أولى الانقسامات الكلامية التي ظهرت بين علماء المسلمين انقسامهم الى المرجئة والقدرية الذي تطور بعد فترة الى مدرستي الاعتزال والاشعرية ، يقابلهم مدرسة أصحاب الحديث التي حظرت عن الابحاث الكلامية العقلية بما فيها أبحاث القدر ^(١) ، ونشب الخلاف والتنافس بين أهل الكلام وأهل الحديث ووقع بينهم عدااء شديد وسيف وتكفير ^(٢) ، فتبادلا الاتهامات وألف كل من الفريقين ردوداً ضد الآخر وتهجم بعضهم بعضاً ، فمثلا كتاب «قبول الاخبار ومعرفة الرجال» لابي القاسم البلخي الكعبي المعتزلي (المتوفى ٣١٧ - ٣١٩) ألف ضد المحدثين وكتاب «شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادي و « تأويل مختلف الحديث » لابن قتيبة ألفا دفاعاً عن المحدثين ورداً على المتكلمين .

وزاد في حدة الخلاف ميل السلطة الى أحد الفريقين الذي سبب في خلق الفتن والمحن المعروفة لكل من الجانبين ، مما جاء تفصيلا في المصادر ولا حاجة الى اطالة الكلام فيه . والمعتزلة منهم خاصة وقعوا موقع عدااء الفرق الكلامية المختلفة وأصحاب الحديث والسلطة الحاكمة مما ضيق عليهم الارض ، خاصة

١. بكر بن عبد الله المزني المصري المحدث المكثّر كان قد عزم على أن لا يسمع قوماً يذكرون القدر الاقام فصلى (الوافى بالوفيات للصفدى ١٠ : ٢٠٧) .
٢. راجع كتاب الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث لعبد المجيد محمود عبد المجيد (القاهرة - ١٩٧٩) : ٧٨ - ٨١ وكتاب الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري لادم متر ١ : ٢٨٨ - ٢٨٩ وكتاب جرج المقدسى بعنوان

Ibn Aqil et la resurgence de l'Islam traditionaliste
au XIe siècle (Damas , 1963) , pp . 327 - 40 .

بعد صدور ماسمي بالاعتقاد القادري في سنة ٤٣٣ ، واستمر التضييق والاضطهاد^(١) حتى قضى على الحركة في النهاية في القرن السابع الا في اليمن حيث انتقل الاعتزال وعاش حتى القرن العاشر .

في اواخر القرن الخامس كان كثير من العلماء ينتمون بعد الى هذه المدرسة في ضواحي العراق وايران ، وكان خوارزم وخراسان من أماكنهم الرئيسية ، لكنهم كانوا تحت تهجم أصحاب الحديث - الذين كانوا مئة مثلين الان في فئة الحنابلة - وكذلك تهجم الاشاعرة والكرامية ، وكان أدب الردود والنقود يدوم وان كانت الغلبة مع الضغوط السياسية والفتن الاجتماعية . والكتاب المائل بين يدي القارئ الكريم الذي هو في الحقيقة لائحة اتهام معتزلية ضد فرق أهل

١ . فقد استتاب الخليفة القادر في سنة ٤٠٨ فقهاء المعتزلة ونهاهم عن الكلام والمناظرة في الاعتزال وأخذ خطوطهم بذلك وأنهم متى خالفوه حل بهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم ، وامثل محمود بن سبكتكين الغزنوي أمر الخليفة واستن بسنته في أعماله من خراسان وغيرها في قتل المعتزلة وصار ذلك سنة في الاسلام (المنتظم لابن الجوزي ٧ : ٢٨٧) ولما أخذ محمود بن سبكتكين الرى في سنة ٤٢٠ نفى من كان بها من المعتزلة وأحرق كتبهم (الكامل لابن الاثير ٧ : ٣٣٥) ، وفي سنة ٤٥٦ لعنت المعتزلة في جامع المنصور ببغداد ، وجلس بعض العلماء لسب المعتزلة ، وهجم قوم من الاشاعرة على أبي علي بن الوليد شيخ المعتزلة فسبوه وشتموه وأهانوه وجروه (البداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ٩١) ، وألزموه بيته مدة خمسين سنة الى أن توفى (نفس المصدر ١٢ : ١٢٩) ، واضطروا أبا الوفاء بن عقيل الفقيه في سنة ٤٦٥ الى أن يحضر في الديوان ويكتب على نفسه كتاباً يتضمن توبته من الاعتزال ، لما قيل من أنه كان يتردد على هذا الشيخ أبي علي بن الوليد (نفس المصدر ١٢ : ٩٨ و ١٠٥) .

* * *

الامام الحاكم أبو سعد المحسن بن محمد بن كرامة^(٢) الجشُمى البروغني البيهقي ، المنتهي نسبه الى الامام علي بن أبي طالب^(٣) ، ولد في قرية جشُم^(٤)

١. الكتاب أُلّف ضد فرق « المجبرة » و « المشبهة » ، ويريد المؤلف بالمجبرة الاشعرية والكرامية والجهمية والضرارية والبكرية والكلاية والنجارية . قال : « ويتسمون بأهل السنة ولا نسلم لهم ذلك » (كتابه العيون في الرد على أهل البدع : ورقة ١١ من مخطوطة رقم B66 بمكتبة أمبروزيانا / كتابه في نصيحة العامة : ورقة ٢٣ من مخطوطة C 5 بنفس المكتبة) . ويعنى بالمشبهة « الحشوية » الثابتة أمثال أحمد بن حنبل وداود الاصفهاني (العيون : ١١٢ أ / نصيحة العامة : ٢٣ أ) . قال ابن قتيبة : « أطلق المعتزلة ألسنتهم في أهل الحديث ولقبوهم بالحشوية والثابتة » (تأويل مختلف الحديث : ٩٦) .

٢. « كرامة » مخففاً لا « كرامة » مشدداً (كما في الاعلام للزركلي ٥ : ٢٨٩ وغيره) ، على ما يشهد به شعر معاصره على بن أبي صالح الخواري في مدحه :

ألا يا ضارباً في الارض أقصر	فما تبغيه عند ابن الكرامة
أقول لمن غدا يبغى مزيداً	عليه علمت أنك في الكرى، مه
أليس يقابل الطلاب مهما	تلقسوه بيسر او كرامة
بجشم ميوأ كل صدق	فذا كالريم وهي له كرامة
أبا سعد بقيت فكل شخص	يروم الفضل حقاً منك رامة

(تاريخ بيهق لابن فندق : ٢١٣) .

٣. هكذا : المحسن بن محمد بن كرامة بن محمد بن أحمد بن الحسن بن كرامة ابن ابراهيم بن اسماعيل بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن الحنفية ، ابن الامام علي بن أبي طالب (تاريخ بيهق : ٢١٣) .

٤. بكسر الجيم الفارسية وضم السين المعجمة ، من قرى ربع « كاه » ، على جانب قرية بروغن كما ذكره ابن فندق (المتوفى ٥٦٥) في كتابه تاريخ بيهق : ٣٨ ،

من ضواحي بيهق بخراسان في شهر رمضان سنة ٤١٣ ، وقتل بمكة غيلة في الثالث من رجب سنة ٤٩٤ عن واحد وثمانين عاماً ، وكان قتله حسب ما أجمعت عليه المصادر بسبب رسالته المسماة « رسالة ابليس الى اخوانه » . كان في الفقه حنفياً حتى الاخباريات من عمره ثم انتقل الى مذهب الزيدية ، وفي الاصول معتزلياً من أتباع مدرسة القاضي عبد الجبار ^(١) بلغت مصنفاته اثنين واربعين كتاباً ، بقي منها :
(١) التأثير والمؤثر ، في الكلام ، منه مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٢١١٩ .^(٢)

(٢) تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين ، جمع فيه الايات التي نزلت في أمير المؤمنين علي وسائر أهل البيت مرتبة بحسب ترتيبها في السور وعقبها بذكر الاثار والاخبار الدالة على أنها نزلت فيهم . منه مخطوطان في المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء (رقم ٣٢ مجاميع : ورقة ١ - ٤٧ ورقم ٢٨٧ مجاميع : ورقة ١ - ٢٧) ^(٣) ومصورة بدار الكتب المصرية (رقم ٢٧٦٢٢ ب) ^(٤).

وهي الان موجودة معروفة بنفس الاسم في رستاق كاه وداورزن من محال سبزوار (بيهق) على جانب قرية بروغن ، فراجع الفت نامة دهخدا ، حرف ج : ١٩٤ / فـ هنك آباديهـاى كشور : المجلد الرابع ، سبزوار : ٩٤ والخرائط . وقد خرج من هذه القرية كثير من الفضلاء في العصور الوسطى ، ترى ذكر عدة منهم في تاريخ بيهق .

١. فذكر ابن شهر آشوب (معالم العلماء : ٨٣) والعلامة الحلبي (ايضاح الاشتباه : ٧١) له في عداد علماء الامامية مبنى على التسامح أو عدم معرفتهم به ، فالرجل يتهجم على الامامية في آثاره كثيراً .

٢. الحاكم الجشمي لعدنان زررور : ٤٩١ .

٣. فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ، تأليف محمد سعيد المليح وأحمد محمد عيسوى (صنعاء - ١٩٧٨) : ٦٦ و ٨٢٧ .

٤. الحاكم الجشمي لعدنان زررور : ٤٩١ .

٣) التهذيب في تفسير القرآن ، في عدة مجلدات . يوجد في أمبروزيانا وفاتيكان ^(١) وصنعاء ^(٢) .

٤) جلاء الابصار في فنون الاخبار . ينقل عنه ابن اسفنديار في كتابه تاريخ طبرستان ^(٣) ويوجد في صنعاء برقم ١٣٧ حديث ^(٤) .

٥) رسالة ابليس الى اخوانه ، وهي هذا الكتاب .

٦) السفينة الجامعة لانواع العلوم ، جمع فيها سيرة الانبياء وسيرة النبي وأحوال الصحابة والعترة الى زمانه ، في أربع مجلدات . توجد في أمبروزيانا ^(٥) وصنعاء ^(٦) وغيرهما ^(٧) ، ونقل منها كثيراً في كتاب « المقصد الحسن » لاحمد ابن يحيى بن حابس الصعدي ^(٨) وفي « قواعد عقائد آل محمد » للدلمي ^(٩) وفي كتاب « الترجمان » لابن مظفر وغيرها .

٧) شرح عيون المسائل ، في الكلام ، يوجد في المتحف البريطاني ^(١٠)

١. أنظر بروكلمن ١ : ٥٢٤ (٤١٢) والملحق ١ : ٧١٣ / الاعلام للزركلي

٥ : ٢٨٩ .

٢. الفهرس : ١٠ .

٣. أنظر ١ : ١٠١ منه .

٤. الحاكم الجشمي لعدنان زررور : ١٠٧ - ١١٠ و ٤٩١ .

٥. أنظر بروكلمن ، الملحق ١ : ٧٣١ .

٦. الفهرس : ٤٠٧ و ٨١٩ .

٧. الحاكم الجشمي لعدنان زررور : ١١١ و ٤٥٢ .

٨. نفس المصدر : ١١١ .

٩. طبعة شتروطمان (استانبول - ١٩٣٨) : ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

١٠. أنظر بروكلمن ١ : ٥٢٤ (٤١٢) .

وأمبروزيانا^(١) وايدن^(٢) وصنعاء^(٣) ، ونشر فؤاد سيد قسماً منه في مجموعة «فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة» (تونس - ١٩٧٤ ، ص ٣٦٥ - ٣٩٣) .

٨ (عيون المسائل أو العيون في الرد على أهل البدع ، هذا الذي شرحه بالكتاب المذكور أعلاه . يوجد في أمبروزيانا^(٤) .

٩ (نصيحة العامة أو الرسالة التامة في نصيحة العامة ، بالفارسية ، وتوجد ترجمة منها بالعربية لمترجم متأخر عن المؤلف ، قال في أوله : « هذا كتاب جمعه الامام شيخ الاسلام أبو سعد المحسن بن محمد بن كرامة الخراساني البيهقي الجشمي رحمة الله عليه بالفارسية . . وسماه الرسالة في نصيحة العامة . فأردت أن يستفيد بهذا الكتاب أصحابنا من أهل اللغة العربية كما استفاد به أصحابنا من العجم ، وما أمكن ذلك الا بأن نقلته الى اللغة العربية . . وظنني أنه لا يخلو من خلل في عبارة العربية وللناظر فيه والسامع أن يصلحه ويقومه . . » .

توجد في أمبروزيانا^(٥) وصنعاء^(٦) ، وقطعة منها في بيان مذاهب الباطنية في استانبول^(٧) ، وقد نشرت هذه القطعة^(٨) .

* * *

١. فؤاد سيد في مقدمته على القسم المطبوع منه : ٣٥٧ .
٢. Encyclopaedia of Islam ، الطبعة الثانية ، الملحق : ٣٤٣ .
٣. الفهرس : ١٨١ .
٤. بروكلمن ، الملحق ١ : ٧٣١ .
٥. نفس المصدر ، الملحق ١ : ٧٣١ .
٦. الفهرس : ٢١٠ .
٧. بروكلمن ، الملحق ١ : ٧٣١ .
٨. نشرها محمد تقى دانش بڑوه في نشرية دانشكده ادبيات تبريز ١٧ : ٢٩٩-٣٠٦ .

« رسالة ابليس الى اخوانه المناحيس » هكذا سماها الجنداري في رسالته^(١)،
وذكرها ابن شهر آشوب^٢ والعلامة الحلي^٣ بعنوان « رسالة ابليس الى

للتوسع في ترجمة الجشمي انظر :

تاريخ يهق لابن فندق : ٢١٢ - ٢١٣ (وراجع ١٢٥ ، ١٤٥ ، ١٨٥ ، ٢٠٥ ،
٢٢١) .

معالم العلماء لابن شهر آشوب : ٨٣ .

المنتخب من كتاب السياق لتأريخ نيسابور للصريفيني (قم-١٤٠٣) : ٦٩٢ - ٦٩٣
ايضاح الاشتباه للعلامة : ٧١ .

كتاب الترجمان لمحمد بن احمد بن يحيى بن مظفر ، مخطوطة المتحف البريطاني رقم
Add 18513 : ٥٨ .

رياض العلماء للافندي ٤ : ٤٠٨ .

أمل الامل للحر العاملي ٢ : ٢٢١ .

نضد الايضاح لعلم الهدى الكاشاني : ٢٦٠ .

نبذة في رجال شرح الازهار للجنداري (القاهرة-١٣٣٢ مع كتاب المنتزع المختار
لابن مفتاح) : ٣٢ .

بروكلمن ١ : ٥٢٤ (٤١٢) والملحق ١ : ٧٣١ - ٧٣٢ .

يادداشت هاي قزويني ٢ : ١٥٧ - ١٦٢ .

الاعلام للزركلي ٥ : ٢٨٩ (بيروت - ١٩٧٩) .

مقدمة فؤاد سيد على القسم المطبوع من شرح عيون المسائل للجشمي في مجموعة
« فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة » : ٣٥٣ - ٣٥٨ .

الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن لعدنان زرزور (دمشق - ١٣٩١)

Der Imam al - Qasim ibn Ibrahim لويلفرد ماديلونج : ١٨٦ - ١٩١
ومقاله عن الجشمي في Encyclopaedia of Islam الطبعة الثانية ، الملحق :

٣٤٣ .

١. نبذة في رجال شرح الازهار : ٣٢ .

٢. معالم العلماء : ٨٣ .

٣. ايضاح الاشتباه : ٧١ .

المجبرة»^(١) وآخرون بعنوان «رسالة أبي مرة الى اخوانه المجبرة»^(٢) أو «رسالة الشيخ أبي مرة»^(٣) ، وهي تبدو بعنوان «الدرة على لسان الشيخ أبي مرة» في مخطوطة صنعاء^(٤) وبالعنوان «رسالة ابليس الى اخوانه من المجبرة والمشبهة في الشكاية من المعتزلة» في مخطوطة طهران ، هذه الرسالة التي قتل المؤلف بسببها ، نقدمها هنا مطبوعة على أساس نسخة مكتبة المجلس بطهران (رقم ١٠٧٢٧ ، ورقة ١٢ ب - ٤٠ أ) المكتوبة في آخر شهر جمادى الاخرى سنة ٧٣٢ . أما نسخة صنعاء (رقم ١ / ٥٨ علم الكلام) المكتوبة في ١٧ شهر جمادى الاخرى سنة ١٣٤٣ فلم نستطع أن نستفيد منها ، والا لتمكن أن تعيننا في حل بعض ما أشكل علينا من نسخة طهران .

أما عملي في هذا الكتاب فينحصر في تقديم النص كما هو في مخطوطة طهران ، من دون تخريج لما يشير اليه المؤلف من الاحاديث والاشعار (عدا بعض الموارد النادرة) ، أو شرح للآراء الكلامية التي يبحث عنها كثيراً في كتب المال والنحل (أي ما كتب عن الفرق والعقائد الاسلامية) لان ذلك يحتاج الى فسحة من الوقت لأجد الى ذلك سبيلا . وانما قمت بهذا العمل احياء لآثر

١. كتاب الترجمان لابن المظفر : ٥٨ أ .

٢. عدنان زرزور نقلا عن طبقات الزيدية ليحيى بن الحسين ، ورقة ٣٤ من مصورة

دار الكتب المصرية (رقم ١٥٦٣٢ ح) ونزهة الانظار ليحيى بن حميد ، ورقة

٢١ من مخطوطة صنعاء (رقم ٩٠ مجاميع) .

٣. زرزور ايضاً نقلا عن مطلع البدور للصنعاني ٤ : ٤١٣ - ٤١٤ من مخطوطة دار

الكتب (٤٣٢٢ تاريخ) .

٤. الفهرس : ١٦٢ .

من التراث الكلامي الاسلامي ، وهذا - كما هو واضح - لا يعني بوجه من الوجوه الموافقة على ما جاء فيه . والله من وراء القصد .

حسين المدرسي الطباطبائي

جامعة برينستن - ١٤٠٦ هـ

[illegible]

رسالة ابليس الى اخوانه المناحيس

بسم الله الرحمن الرحيم

تمم بفضلك

توكلت على الله واستعنت به

رسالة أبلّيس الى اخوانه من المجبرة والمشبّهة فى الشكاية عن

المعتزلة

وهى ستة عشر باباً :

الباب الاول

فى ماصدر به الرسالة من الشكوى

أما بعد ، معاشر اخواني - كثر الله عددكم وأطال مددكم - لقد علمتم وأيقنتم أنه لاموافقة فوق موافقة الاعتقادات ولامطابقة أعظم من المطابقة فى الديانات، جبلت القلوب على حبها حتى يتواصل فيها الاجانب ويتقاطع عليها الاقارب ، ووافقت فى ذلك الشريعة الطبيعة ، فوردت فيها الايات والاخبار والنصوص والاثار ونص به الكتاب واتفق عليه ذووالالباب ، فقال الله تعالى : « انما المؤمنون اخوة »^(١) و « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعضهم »^(٢) و « المؤمنات فقات بعضهم من بعض »^(٣). ورووا أن النبى - صلى الله عليه وعلى آله وسلّم - قال لابي ذر : أتدري أي عرى الاسلام أوثق ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : الموالة فى الله والمعاداة فى الله والحب فى الله والبغض فى الله . وقال شاعرهم :

ان لم يكن بيننا قريى فأصرة فى الدين أقطع فيه الوالد الولدا
وقد علمتم أن نوحاً - عليه السلام - لما سأل ربه أن يبقى ابنه أجيب « انه »

١. القرآن الكريم ، سورة الحجرات (٤٩) : ١٠ .

٢. سورة التوبة (٩) : ٧١ .

٣. نفس السورة : ٦٧ .

لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ»^(١) لمخالفته لك في دينك «وكانَ مِنْ الْمُغْرَقِينَ»^(٢) مع الكافرين ، وأن لوطاً - عليه السلام - بشر بالنجاة «الا امرأته كانت مِنْ الغابرين»^(٣)، وإبراهيم - عليه السلام - لاجل الدين خالف أباه، وأشرك موسى في النبوة أخاه ، وأن آسية تبرأت من فرعون وان عذبت باللاتاد ، وحزيبل تبرأ منه وقال: «أَتَقْتُلُون رَجُلًا إِنْ يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ وَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ»^(٤) ، وأن أبا لهب عد أجنبياً وان كان هاشمياً ، وعد سلمان أهلياً وان كان فارسياً . كل ذلك بناء على الموافقة في الشريعة والتناصر في الملة والتقارب في النحلة .

ولقد علمتم معاشر اخواني ما بيني وبينكم من موافقة الاعتقاد وما يجمعني وإياكم من خلوص الوداد، فإن اعتمادي عليكم واعتدادي بكم وانقطاعي إليكم، وانتم الذابون عني والسالكون على سنتي، فينوبني مانابكم ويروني مارابكم ، فأنتم مني وأنا منكم ، وكأن الشاعر عبّر عنا بقوله :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا فإذا أبصرتني أبصرتنا^(٥)

ولقد علمتم معاشر اخواني ما لقيت و [عانيت] من هؤلاء المعتزلة قديماً

١. سورة هود (١١) : ٤٦ .

٢. نفس السورة : ٤٣ .

٣. سورة الاعراف (٧) : ٨٣ .

٤. سورة غافر (٤٠) : ٢٨ .

٥ . تمامه - على ما في رسالة السوانح في العشق لاحمد الفزالي : ١٩ (طبع هلموت

ريتر ، استانبول - ١٩٤٢) : ٧ ، وغيرها من المصادر الكثيرة - هكذا :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرتني وإذا أبصرتني أبصرتنا

وحديثاً . ولقد عظمت فتنتهم واشتدت شوكتهم وعات كلمتهم وظهرت مقالاتهم وحببتهم وكنت أحسبهم في الانس فاذا هم في الجن أكثر ومذاهبهم أكثر وعددهم أوفر، قد طبقوا البر والبحر والسهل والجبل، فلا بلد الاولهم فيها داع ومدرس وخطيب ومصنف يصرخون بمذاهبهم على المنابر ويملأون الدنيا بالكتب والدفاتر. وقد جمعت بينهم وبين اخواننا من مجبرة الجن كثيراً وتدبرت مع خواصي في شأنهم تدابير فلم ينفذلي فيهم حيلة ولا مكيدة . كنت أطمع في كل مرة أن أفحمهم فأفحمونا وأرجو أن أقطعهم فقطعونا وأؤمل أن أفضحهم ففضحونا ، وبلغ من أمرهم أن قائلوني بقبیح افعال وجبهوني وإياكم باللعن وسوء المقال. وفي كل ذلك أنتم الذابون عنّي والناضلون دوني. ولكن لا ينفع التوازر والقتال ولا ينجع فيهم المقال . ان قاتلناهم هزمونا وان قاولناهم أفحمونا وان تركناهم لعنونا ، وان قلنا نحسن العشرة تلوا: « لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّوْنَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ »^(١) ، وان طلبنا الموافقة قرأوا : « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ »^(٢) ، وان رمنا المصالحة تلوا : « قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ »^(٣) ، وأنشدوا :

ليس بيني وبين قيس عتاب غير طعن الكلا وضرب الرقاب^(٤)

واذا قلنا لهم دعوا ما أنتم فيه فقد وقعتم في تيه، قالوا أشيء نقدر على تركه؟ فان قلنا « نعم » قالوا تركتم المذهب ، وان قلنا « لا » سخروا منا واستهزؤا بنا

١. سورة المجادلة (٥٨) : ٢٢ .

٢. سورة الكافرون (١٠٩) : ١ .

٣. سورة التوبة (٩) : ٢٩ .

٤. ورد البيت في العقد المفرد لابن عبدربه ٣ : ٧٣ (طبعة أحمد أمين) منسوباً الى رجل من الاعراب .

وقالوا فإذا السكوت أخرى. ولقد ضاق صدري وعيل صبري، وقد كتبت اليكم اخواني ما جرى بيني وبينهم من المقامات والمقيت ولقيتم من النكيات ، تحقيقاً لما ذكرت وتصديقاً لما قدمت ، لنكون يداً واحدة عليهم ومتعاونين على دفعهم . وقد علمتم اخواني أن من الواجب في الدين نصيحة الاخوان والاتباع ، وبذل الامانة للاشياء. ألا واني أبلغكم ما لاتعلمون، وأنصح لكم فأنا لكم ناصح أمين . فاجتنبوا مجالسهم ومدارسهم ، ولا تستمعوا الى كلامهم ومواعظهم ، وجنبوا أشياعكم وعوامكم ونساءكم وصبيانكم ، فإن لكلامهم حلاوة وعليه طلاوة تحير ذوى الالباب وتدخل في القلب بلا حجاب . ومن عظيم فتنهم أن سموا أنفسهم بالموحدة العدلية وسموونا بالمجبرة القدريّة ، فرمونا بالاحاد ونسبونا الى الفساد .

ولقد مررت بقاصّ من الجن يتكلم في قوله تعالى « وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ »^(١) وهو يقول : يا معشر الجن ! الجهاد أربعة : جهاد النفس بالصبر عن العصيان ، جهاد الكفار بالسيف والسنان ، جهاد أهل البدع بالحجة والبرهان ، جهاد أهل الكبائر بالموعظة والبيان . ثم قال : أما جهاد النفس فقد قال الله تعالى : « فَتَأْمُرُكَ مِنْ خَافٍ مَقَامَ رَبِّهِ وَتَنْهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ »^(٢) وانه تعالى قدم الحجة وبين نفسه أتى، وان العبد مخير فمَن شاء فليؤمِرْ وَمَن شاء فليتكفّر^(٣) . وأما

١. سورة الحج (٢٢) : ٧٨ .

٢. سورة النازعات (٧٩) : ٤٠ .

٣. سورة الكهف (١٨) : ٢٩ .

جهاد الكفار وأرباب الضلال فمن أعظم الطاعات، قال الله تعالى: «وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ»^(١) وهو من دعائم الاسلام وأركان الدين . وأما جهاد أهل البدع - وهم المجبرة والمشبهة - فمن أعظم الامور وفرض على الجمهور، وقد قال الله تعالى: «ادعُ الى سبيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»^(٢) ، فلا فتنة أكبر من فتنتهم ولا ضلالة أعظم من ضلالتهم ، حيث شبهوا الله بخلقه وأضافوا القبيح الى صنعه ، وقد بلغنا من رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في ذم المبتدعة آثار جمة ، فقال - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : من قرصاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام، وقال لعائشة وقد سأته عن قوله تعالى «انَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ»^(٣) من هم؟ قال - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : هم أصحاب البدع من هذه الامة ، يا عائشة ! لكل ذنب توبة الا أصحاب البدع فانه ليست لهم توبة ، أنا منهم بريء وهم مني براء . وأما جهاد أهل الكبائر فقوله تعالى «وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ»^(٤) . والقوم حوله يبيكون واياي واياكم يلعنون . فأخذني ما قرب وما بعد ، ولا أقدر على منع ولا أجد عوناً على دفع .

ولقد مررت بقاصّ منهم ينصّ والقارىء يقرأ : «وَيَتَوَمَّ الْقِيَامَةَ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجَّوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ»^(٥) وهو يقول : بلغنا عن

١. هذا تكرار للاية الاولى ، والانصب قوله تعالى : «يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم» (سورة التوبة - ٩ - ٧٣) .

٢. سورة النحل (١٦) : ١٢٥ .

٣. سورة الانعام (٦) : ١٥٩ .

٤. سورة لقمان (٣١) : ١٧ .

٥. سورة الزمر (٣٩) : ٦٠ .

الحسن وجماعة من العلماء قالوا : يؤتى بالشیطان يوم القيامة فيقال له : هلا سجدت إذ أمرت ؟ قال : فيقول الشيطان لاني ما قدرت عليه ولا مكنيت منه وحييل بيني وبين السجود وخلق في الآباء ، ولو خلعت لسجدت . فقيل له : كذبت بل من قبل نفسك أتيت . فقال : لي شهود يشهدون على ما قلت ، فينادى : أين شهود الشيطان وخصماء الرحمن ؟ فيقول جماعة المجبرة : صدق الشيطان ، ويشهدون له ، فيخرج من أفواههم دخان أسود يسود وجوههم ثم يبعث به معهم الى النار . وذكر عن علي - عليه السلام - حديثاً طويلاً أن المجبرة خصماء الرحمن وشهود الشيطان وقدرية هذه الامة ومجوسها . والقوم يرفعون أصواتهم باللعن علي وعليكم ، ويقولون لعن الله الشيطان وأتباعه وأشياعه . فقال بعض المشايخ : فمن كان معي أيها الشيخ ؟ اليك المشتكى في عظيم هذه البلوى ، دبرنا في أمرهم . فقام معتزلي من الجن ، فقال : التدبير هو الصبر أو القبر ، ثم أنشأ يقول :

رب من أشجاه ذكري وهو لم يخطر ببالي

فلبسه ملان من به ضي وقلبي منه خالي

ولقد مررت بقاص من أصحابنا شيخ كبير وحواله جماعة من أصحابنا وهو يقص ، فقرأ قارئ قوله تعالى «وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الْأَشْجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا أَنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ»^(١) . فقال ذلك الشيخ : أيها القوم ! الصدق منجاة ، ما ذنب الشيطان في الوسوسة ؟ وما ذنب آدم وحواء في أكل الشجرة ؟ أما علمتم أنه خلق الوسوسة في الشيطان ومنعه عن خلافه ، وأراد منه وقضاه عليه ، وخلق الاكل فيهما ولم يقدر تركه وأراد منهما الاكل ، ثم يقول : « أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الْأَشْجَرَةِ » الآية ،

١ . سورة الاعراف (٧) : ٢٢ .

فمن الشيطان حتى يقدر على شيء؟ ومن آدم وحواء حتى يقدر على أكل الشجرة؟ الكل من الله . وبكى وبكى الناس حوله وقالوا : صدقت! فقام من غمار الناس معتزلي أخذته الرعدة وعينه تفيض من الدمع ، وقال : أف لكم يا معشر المجبرة وسوأة لكم ! أتبرئون الشيطان وتوركون الذنب على الرحمن؟ أما تستحيون من ربكم؟ أما لكم عقل يردعكم؟ أما لكم دين يمنعكم؟ أف لَكُمْ وَإِذَا تَعَبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْلَمُونَ؟^(١) وارتفعت الضجة وتفرق الناس ، وأنا شاكر لسعيكم ذاكر لما كان منكم .

واجتمع عندي المشايخ يتذاكرون ماجرى . فقام معتزلي من الجن وقال : يا قوم لم لم يسجد هذا الشيطان لادم وقد أمر به؟ فقالوا: لانه منع منه بموانع كثيرة ، لم يخلق فيه السجود و [لا] قضاء ولاأراد ولاأقدره عليه ، بل خلق فيه تركه وأراد وقضاء ، وخلق فيه القدرة الموجبة لتركه وأغراه بتركه وزين ذلك في قلبه ، ثم كلفه ما لا يقدر عليه ، فما ذنب المسكين؟ فقال معتزلي: فلماذا عاقبه؟ فقالوا : الملك ملكه ، لو عاقب آدم وسائر الانبياء والابرار وأثاب فرعون وسائر الكفار كان عدلا منه . فقال لهم : بعداً لكم وسحقاً مع هذه المقالة ! فقصدوه بالنعال فهرب . وعرفتم حقي وقضيتم ذمامي .

ولقد جمعتني وإياكم وإياهم مجلس فقرأ قارىء : « اَللّٰهُمَّ اَعْهَدْ اِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ اَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ اِنَّهُ اَكْرَمُ عَدُوِّ مُبِينٍ . وَأَنْ اَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ . وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا » الآية^(٢) ، فقال صدر من صدور المجبرة وشيخ من مشايخهم : ما ذنب هذا المسكين يلعنه ويوبخه؟ أليس خلق فيه العداوة والاضلال، فما بال هذا الاعتلال؟ فقال القوم : صدقت!

١. سورة الانبياء (٢١) : ٦٧ .

٢. سورة يس (٣٦) : ٦٠ - ٦٢ .

وقام معشر من المعتزلة وقالوا : كذبت وكذبوا ! بل الله بريء من ذلك . واعنوني واياكم ، وارتفعت الضجة ، وتعدى المقال الى القتال ، وتفرقنا ونحن على شرحال .

وحضرني جماعة من المشايخ يوم عيد وشكوا المعتزلة وقالوا : فعلوا بنا كذا وقالوا لنا كذا ، واذاً واحد من غمار الناس يصيح ويقول: من فعل ذلك ومن قال ؟ أنحن فعلنا فقد تركتم مذهبكم ، أو الله فعل فارضوا بقضائه والا كفرتم . فلقد علمتم ما فعل الناقص^(١) بأخينا الوليد^(٢) حين خرج عليه في الغيلانية^(٣) ، وسمعتهم ما فعل من الافاعيل بالمروانية ، وبلغكم ما نالوا به أصحابنا في أيام العباسية ، وما فعله المأمون^(٤) وأقرانه بنا من تشتيت كلمتنا والاغراء بأهل مقالتنا ، وما جرى من القتل والصلب أيام ابن ابي دواد^(٥) ، وما كان من قطع اللسان أيام

١ . هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، الخليفة الاموي . ثار على ابن عمه الخليفة الوليد بن يزيد وقتله واستولى على الخلافة في مستهل رجب ١٢٦ ، ومات في ذى الحجة من نفس السنة . قيل انه كان أعدى بني أمية بعد عمر بن عبد العزيز .

٢ . هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، عاشر الخلفاء الامويين . ولي الخلافة بعد عمه هشام بن عبد الملك في سنة ١٢٥ ، فمكث سنة وثلاثة اشهر ، ونقم عليه الناس سوء سيرته وحبه للهو فبايعوا ابن عمه يزيد الناقص وقتلوه .

٣ . فرقة من القدرية ، أتباع غيلان بن مسلم الدمشقي الذي كان يقول بأن القدر خيره وشره من العبد ، وأن الامامة تصلح في غير قريش ولا تثبت الا باجماع الامة . قتله هشام بن عبد الملك الاموي .

٤ . هو عبد الله بن هارون الرشيد ، سابع الخلفاء العباسيين . ولي الخلافة بعد خلع اخيه الامين في سنة ١٩٨ ومات في سنة ٢١٨ .

٥ . هو القاضي أحمد بن ابي دواد الايادي المعتزلي ، قاضي قضاة المعتصم ثم الواثق العباسيين . مات في سنة ٢٤٠ .

ابن عباد^١ ، وما كان من نصرة العلوية الخارجين في نصرة الاعتزال، وما جرى على أصحابنا من ملوك آل بويه من الإذلال ، ثم ما كان في أيام ركن الدولة^٢ من محن جمة وبليّة وغمة من شيخ مصفوع ومجلس مرفوع ومذهب مدفوع . ولقد اجتمعت معزلة من الجن علي وعلى أتباعي وعلى أعواني وأشياعي وأخواني من المقال والفعال، فنحن بين ثلاث: بين فقيه منبر[ه] منكوس وحظه مبخوس ونجمه منحوس ، وبين ثان في السجن محبوس وله من الذل والصغار ملبوس، وبين ثالث ترك عمره ودخل بغمة قبره ، فاليكم المشتكى وبكم المستعان .

-
١. هو صاحب اسماعيل بن عباد بسن العباس الطالقاني ، استوزره مؤيد الدولة البويهى ثم أخوه فخر الدولة . مات فى سنة ٣٨٥ .
 ٢. هو الحسن بن بويه الديلمى ، من كبار الملوك فى الدولة البويهية . استمر فى الملك ٤٤ سنة ، ومات فى سنة ٣٦٦ .

الباب الثاني

فى التوحيد والتشبيه

فكرت وقلت : مدار هذا الامر على التوحيد وبذلك باينت هذه الفرقة سائر الفرق وهذا الدين سائر الاديان ، وعلمت أن مما أجمعوا عليه وعلم من دين الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ضرورة أن الله تعالى واحد لا ثاني له ولا شبه له ولا مثل له ، وأنى ان ألقيت اليهم خلاف ذلك لا يقبلون ، فدبرت وأتيت من خلفهم وأيمانهم وشمالهم كما وعدت ، وقلت : لابد لهذا الامر من تحصيل ولهذه الجملة من تفصيل . فألقيت اليهم التثنية والتثليث معنى وان خالف لفظاً ، وقلت : ان مع الله قدماء : قدرة قديمة وعلم قديم وحياة قديمة ، حتى ألقيت القدماء التسع وأكثر .

فقبلتم عني أحسن قبول وصنفتهم فيه الكتب ودرستم بذلك في المدارس وناظرتم في ذلك فى المجالس . غير هؤلاء المعتزلة من الجن والانس فانهم أبوا أشد الالباء وقابلوني بالعداوة والبغضاء ، وقالوا : هذا موافقة للمانوية فى التثنية ، وللتصارى فى التثليث ، وللطبايعية فى قدم الطبائع الاربعة ، وللمنجمين فى القول بقدم الكواكب السبعة . وانما الدين القويم بأن الله واحد قديم وماسواه محدث ، فهذا موافقة جمل دين المسلمين ومأتى به خاتم النبيين .

وزاد شيخنا أبو عبد الله بن الكرام^(١) حتى عد قدماء كثيرة سماها أعراضاً

١. هو محمد بن كرام السجزي النيسابورى ، امام الكرامية . ولد بسجستان وجاور

بمكة سنين ثم انتقل الى نيسابور ، ومات بالقدس سنة ٢٥٥ .

وأغياراً . فكفرهم المعتزلة بذلك ، وذكروا في ذلك حججاً وتلوا : « لَفَدَ كَفَرَهُ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا هُوَ وَاحِدٌ »^(١) . وذكروا أن نصرانياً كان يناظر في الكلام ، فاذا أتاه مجبر قال : أليس أن الله خلق في الكفر وأنا لا أقدر على تركه؟ فقال : نعم [فقال:] فما معنى مناظرتك؟ ، واذا أتاه مشبه قال : أنت يا أخي زدت علي ! فاني قلت ثالث ثلاثة وأنت تقول رابع أربعة وخامس خمسة وتاسع تسعة ، واذا جاء المعتزلة فقال : خذ السلاح وأخذه فالقتال بيني وبينك .

فصل

فكرت وقلت : ان ألقيت اليهم عبادة الوثن لا يقبلون ، وألقيت ماهو في معناه . فألقيت اليهم بأن الله ذو صورة وذو أعضاء ، له وجه وجنب ويد وساق وعين ولسان ، وأزه جسم . وأما المعتزلة فقابلوني بالرد وقالوا : هذه عبادة الاوثان ونعوذ بالله من نزعات الشيطان ، وذكروا أن الله تعالى ليس بجسم ولا عرض ولا يشبه شيئاً ، وأنه تعالى ليس له أعضاء ولا أكفاء وأنداد وأضداد ، وأنه واحد ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير^(٢) ، وأنه لو كان جسماً لكان مؤلفاً مركباً مصوراً محدثاً - تعالى الله عن ذلك - . وأما أنتم فقبلتم أحسن قبول وصنفتهم فيه التصانيف ورويتهم فيه الاحاديث ووضعتهم فيه الاسانيد ، وفصلتم عضواً عضواً وجعلتم لكل عضواً باباً ودونتم في كل باب كتاباً وسميتموها مذاهب السنة والجماعة .

فسئل شيخنا الهليلجي عن قوله تعالى « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » مامعناه مع قولك أنه جسم ذو أبعاد وأعضاء ؟ فقال : هذا لا معنى له !

١ . سورة المائدة (٥) : ٧٣ .

٢ . سورة الشورى (٤٢) : ١١ .

وسئل أحمد بن عباس عن قوله تعالى : « وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى » ^(١) ،
قال : هو الدنو . وكان يقول ^(٢) بالمؤانسة والمجالسة والمحادثة والخلوة .
وسأل بعضهم عن قوله تعالى « عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ » ^(٣) فقال : يقعده معه
[على] سريره - ويغلفه بيده - .

وسأل بعضهم معاذ العنبري ^(٤) : أله وجه؟ قال : نعم ، لا كالأوجه . قلت :
فعين؟ قال : نعم ، حتى عددت جميع الاعضاء من أنف وأذن وصدر وبطن وهو
يقول نعم ، فاستحييت أن أذكر الفرج فأوميت بيدي الى فرجي ، فقال : نعم!
فقلت : ذكر أو أنثى؟ قال : ذكر! ففرح القوم . غير هؤلاء المعتملة فانهم لعنوه
وكفروه .

ولقد شكرنا جميعاً سعي ابن خزيمة ^(٥) في تصنيفه كتاباً في أعضاء الله ،
وذكره ما يشهد . وذكر بعض أصحابنا أنه أشكل عليه من أعضائه لا يجد ^(٦) ذلك

١. سورة ص (٣٨) : ٢٥ ، ٤٠ .

٢. من هنا الى آخر قصة فاطمة ويزيد ورد في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
٣ : ٢٢٤ - ٢٢٧ (من طبعة محمد ابو الفضل ابراهيم) غير منسوب ، وقد
أكملنا النص هنا في بعض المواضع على أساس المنقول .

٣. سورة القمر (٥٤) : ٥٥ .

٤. هو القاضي معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان التميمي البصري ، من المحدثين .
ولي قضاء البصرة للرشد وبها توفي سنة ١٩٦ .

٥. هو أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة السلمى النيسابورى ، من ائمة الحديث .
توفي سنة ٣١١ . طبع له كتاب « التوحيد واثبات صفة الرب » ، ولعله ما يشير
اليه المؤلف أعلاه .

٦. كذا في الاصل .

فى الكتاب والسنة وهو أنه ذكر أو أنثى ، فقيل له انه أنزل : « وَلَئِيسَ الذَّكَرَ كَالْأُنْثَى » ^(١) ، فقال : أفدت وأجدت ! وأودعه كتابه .

ودخل انسان على معاذ بن معاذ ^(٢) أيام التشريق - وهو شيخ جليل من مشايخنا - وبين يديه لحم سكباج يأكله ، فسأل عن مسألة التشبيه ، فقال : هو والله مثل الذى بين يدي ، لحم ودم .

وشهد معتزلي عند معاذ بن معاذ وعدل ، فقال : لقد أحببت أن أسقطك لكنك عدلت ، لاني سمعت أنك تلعن حماد بن سلمة ^(٣) . فقال : أما حماد فلم ألعنه ، ولكن ألعن من روى أنه تعالى ينزل يوم عرفة على جمل أحمر في قفص من ذهب ، فان كان حماد يروي هذا فهو ملعون . فقال : أخرجه ! فأخرجه .

وعن محمد بن أبى الاسود خرجنا الى المصلى يوم عيد ، واذا جماعة مع الامير يضرب بالطبول ويؤتى بالاعلام . فقال واحد من خلفنا : اللهم لا طبل الا طبلك ! فقيل له : لا تنقل فليس لله طبل . فبكى وقال : أرأيتم وهو يجيء وحده ويجلس وحده ولا يضرب بين يديه طبل ولا ينصب [على رأسه] علم ؟ اذا هـو أدون من هذا الامير ! فانظر كيف رد على هذا المعتزلي .

وروى مشايخنا أنه تعالى أجرى خيلا فخاق نفسه من عرقها ، وأنه لما أراد خلق آدم رأى صورة نفسه فخلق آدم على صورته .

ورويتم أنه تعالى يضحك حتى تبدو نواجذه .

ورويتم أنه أمرد جعد قطط في رجليه نعلان من ذهب ، [وأنه] في روضة

١ . سورة آل عمران (٣) : ٣٦ .

٢ . هو معاذ الغنبرى الذى مر ذكره آنفاً .

٣ . هو حماد بن سلمة بن دينار البصرى ، مفتى البصرة وأحد رجال الحديث . توفى

سنة ١٦٧ .

خضراء على كرسي تحملله الملائكة، وأنه يضع رجلا على رجل ويستلقي وأنها
جلسة الرب .

وروا أنه خلق ملائكته من زغب شعر ذراعيه .

وروا أنه يحاسب الناس يوم القيامة وهو على صورة آدم .

وروا أن له حجبا يحجبونه .

وروا أنه اشتكى عينه فعادته الملائكة .

وروا أنه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال : رأيت ربي في أحسن

صورة فسألته في ما يختلف الملائكة الأعلى فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها
فعلمت ما اختلفوا فيه .

وروا أنه ينزل الى السماء [الدنيا] في النصف من شعبان .

وروا أنه جالس على العرش قد فضل منه أربعة أصابع فيقعد معه النبي

- صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وذلك المقام المحمود .

وروا أنه يأتي يوم القيامة فيقول : أنا ربكم ! فيقولون : نعوذ بالله منك !

فيقول : أتعرفونه ان رأيتموه ؟ فيقولون : بيننا وبينه علامة ! فيكشف لهم عن
ساقه وقد تحول في الصورة التي فيها فيعرفونه ^(١) .

وروا أن العرش اذا رضي الله خف واذا غضب ثقل فيعرف غضبه ورضاه .

وروا أنه يأتي في غمام تحته هواء وفوقه هواء .

وروا أن له خنصراً وبنصراً وابهاماً ، فتركوا السبابة والوسطى وعدوا

بأصابعهم .

وذكر بعض المعتزلة يوماً - وقد حضر مجلساً - : أنتم يامعشر المشبهة تروون

١. في شرح النهج : في الصورة التي يعرفونها فيخرون له سجداً .

الحديث وضده ، كما قال بشر بن المعتمر ^(١) :

تروي أحاديث وتروي نقضها مخالف بعض الحديث بعضها

ثم تصححون الجميع ولا تعرفون وتروون ما لا تعلمون . مثلكم كما قال الله تعالى « كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهِ إِذِ احْمَرَّتْ رِجْلَاهُ سَفِهُارًا » ^(٢) . ثم أخذ في رواية معائب مشايخنا فقال : من عجيب أمركم أن شيخاً من شيوخكم روى حديثاً فقال : حدثني فلان عن فلان عن النبي عن جبريل عن الله عن رجل ! فقيل : هذا لا يكون . فنظروا فإذا هو عزوجل .

وذكر الفقيه أبو الاسود قال : كان بطبرستان قاص ينص من المشبهة ، فقال [يوماً في قصصه] : ان يوم القيامة تجيء فاطمة ومعها قميص الحسين تلمس القصاص من يزيد ، فلما رآها الله من بعيد قال ايزيد : أدخل تحت العرش لا تنظر بك فاطمة ، فدخل [ويختبئ] ، وتمثلت فاطمة بين يدي الرب وبكت ، فقال : يا فاطمة ! أنظري الى قدمي به جرح من سهم نمرود وقد عفوت عنه فاعفي عن يزيد ، فعفت فاطمة عن يزيد .

وروى آخر حديثاً فقال : وجدت في كتابي «الرسول» ولا أجد «الله» فاكتبوا شك الشيخ في الله !

ومرض أبو علي الحافظ النيسابوري ^(٣) ، فدخل عليه أبو القاسم الزجاجي يعوده ، فأخرج اليه كتاب وصية يشهده عليه ، فقال : هذه وصية لابنتك وهذا لا يجوز ، قال : لاناخذ بقياسكم وانما نقول بالاحاديث . فقال : ليس هذا بقياس ،

١ . هو أبوسهل بشر بن المعتمر الهلالي البغدادي ، من كبار المعتزلة . توفي سنة ٢١٠ .

٢ . سورة الجمعة (٦٢) : ٥ .

٣ . ورد ذكره في المنتخب من السياق في تاريخ نيسابور للصريفيني : ٦ و ٢١٣ (من طبعة قم - ١٤٠٣) ، وهو من رجال المائة الرابعة .

هذا نص رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : لا وصية لوارث . قال :
هــذا الحديث لي مكتوب مسموع بستة عشر اسناداً لكن لم أعلم أن الوصية
للبنات لا تجوز .

ودخل بعض الفقهاء على يحيى بن معين^(١) ، فلما خرج سئل عنه فقال :
دينه شك وفتياه وقف وكلامه طعن ! قيل : وكيف ؟ قال : اذا قيل له أمؤمن أنت ؟
قال ان شاء الله ، فاذا سئل عن مسألة روى أقاويل الناس ، فاذا قيل بسم نأخذ ؟
وقف ، واذا قيل فتادة^(٢) قال قدري ، واذا قيل جابر^(٣) قال رافضي . ثم أنشأ
يقول :

ولا بن معين في الرجال مقالة ويسأل عنها والمليك شهيد
فان كان صدقاً فالمقالة غيبة وان كان كذباً فالعذاب شديد

وأنشد بعض المعتزلة يوماً بحضرة جماعة من مشايخنا ، مشافهاً لهم :

يا خائضاً في غمرة الشكوك مفكراً في صفة الملوك

كفكرة المشبه الركيك فكرك فيه مالك الملوك

لمالك ليس بذئ شريك لا يدرك المالك المملوك

وحضرت يوماً مجلساً قد جمعهم وإيانا ، فقال بعض المعتزلة للمشبهة :
أتقولون لله يد ؟ قالوا : نعم ، قال : لم ؟ قالوا : لقوله تعالى « يَدُ اللَّهِ فَوْقَ

١. هو يحيى بن معين بن عون بن زياد البغدادي ، من أئمة الحديث . عاش ببغداد
ومات بالمدينة سنة ٢٣٣ .

٢. فتادة بن دعامة الدوسي البصري ، من حفاظ الحديث . كان يرى القدر . مات
سنة ١١٨ .

٣. جابر بن يزيد الجعفي الكوفي ، تابعي ، من رجال حديث الشيعة . مات سنة ١٢٨ .

أَيْدِيهِمْ» ^(١) ، قال : فقل له يدان لقوله تعالى « بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ » ^(٢) ، قال : كذا أقول ، قال : فقل له ثلاثة أيدي لقوله تعالى « مِمَّا عَمِلْتُمْ أَيْدِينَا » ^(٣) . فانقطع . ثم قال له : أتقول له عين ؟ قال : نعم . قال : لم ؟ قال : لقوله تعالى « وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي » ^(٤) . فقال له : فقل له أعين لقوله تعالى « تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا » ^(٥) . وقال : أستم تقولون أن كلتا يديه يمين ؟ قال : بلى ! قال : وهل شيء أفصح من هذا ؟ فانقطع .

ولما فشى ذكر الصورة والاعضاء بين مشايخنا وقامت المعتزلة في الرد عليهم وصنفوا ، أُلقيت الى كثير منهم أن المجادلة في الدين حرام وأن الحق في التقليد ، والواجب أن لا يلتفت الى كلام المعتزلة وجدالهم ، فالصواب في التمسك في ما ألفيتموه عن سلفكم . فأما داود ^(٦) وأحمد بن راهويه ^(٧) وأمثالهم قبلوا قولي وصوبوا رأيي وأقاموا على اعتقادهم ، وأما القلانسي ^(٨) وابن كلاب ^(٩)

١. سورة الفتح (٤٨) : ١٠ .

٢. سورة المائدة (٥) : ٦٤ .

٣. سورة يس (٣٦) : ٧١ .

٤. سورة طه (٢٠) : ٣٩ .

٥. سورة القمر (٥٤) : ١٤ .

٦. هو داود بن علي بن خلف الاصفهاني ، امام الظاهرية . مات سنة ٢٧٠ .

٧. هو اسحاق بن ابراهيم بن راهويه التميمي المروزي ، من أئمة الحديث . أخذ

عند احمد بن حنبل والبخاري ومسلم وغيرهم . مات بنيسابور سنة ٢٣٨ .

٨. هو أبو العباس القلانسي ، المذكور اسمه وبعض آرائه الكلامية في كتب الملل

والنحل ، كملل الشهرستاني : ١٤٨ و ٣٣ (طبعة محمد بدران ، القاهرة - ١٣٦٦) .

٩. هو عبدالله بن محمد بن كلاب القطان ، من نابتة الحشوية ورأس الفرقة الكلائية .

مات بعد سنة ٢٤٠ . وهو أول من عرف عنه القول بقدم كلام الله .

وطبقتهم رأوا أن شيئاً من ذلك لا يصح على النظر وأوقعوا أنفسهم في تيه بمجادلة المعتزلة. قلت لابد فيهم من تدبير، فألقيت اليهم أن اليد ليس هو الجارحة وإنما هو صفة للباري ، وكذلك العين والساق والجنب صفات ، وأن الاستواء على العرش ليس هو الاستقرار ولكن صفة له . فقالوا : أحسنت أنت ! وطلبوني^(١) ودمعوني^(٢) وناظروني في ذلك ودونوا وصنفوا .

وأنكرت المعتزلة أشد انكار، وابتدأوا بالرد علي وعليكم بأن هذا لا يعقل وهو فاسد لادليل عليه، وهل هذا الانصرة عباد الاصنام وهدم الاسلام. والله المستعان.

فصل

فكرت وقلت : ليس في اثبات التشبيه أمر أقوى من اثبات الرؤية ، فألقيت اليكم بأنه تعالى يرى، فوافقتموني وقررتم عيني ورويتم فيه الاحاديث ووضعتم الاسانيد ، ورويتم أن محمداً - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - رأى ربه ليلة المعراج وأنه قعد معه على عرشه ، وتأولتم الايات على ذلك .

وقامت المعتزلة في الرد علي وعليكم ، وقالوا الرؤية توجب التجسيم والتجسيم يوجب الحدوث ، واحتجوا بقوله تعالى « لا تُدْرِكُهُ الابصار »^(٣) وبقوله « لَنْ تَرَانِي »^(٤) ، ورووا عن عائشة أنها سئلت هل رأى محمد ربه؟ فقالت : لقد قف شعري مما قلت ثلاثاً ! من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الغفيرة على ربه وقد قال : « لا تُدْرِكُهُ الابصار »^(٥) ، ومن زعم أنه يعلم ما في

١. طلبوني - قالوا : أطال الله بقاءك .

٢. دمعوني - قالوا : أدام الله عزك .

٣. سورة الانعام (٦) : ١٠٣ .

٤. سورة الاعراف (٧) : ١٤٣ .

غد فقد قال تعالى : « وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّا ذَا تَسْكِبُ غَدًا »^(١) ومن زعم أنه لم يبلغ شيئاً لانه قال : « بَلَّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ »^(٢) . وعنها وقد سئلت [عن] ذلك فقالت : أنا أول من سأله وقال : رآه قلبي ولم تره عيني . ثم زادت الشيوخ ، فقالت الحنابلة بالمجالسة والمصافحة ، وقالت الكرامية^(٣) بأنه يرى من فوق كما يرى السماء .

ولما قامت المعتزلة بالرد عليهم وعلم الشيخ الاشعري^(٤) أن ذلك لا يتم على النظر قال يرى بلا جهة وكيف ، فجعله من باب ما [لا] يعقل - تلبساً وتديساً - وجرى ذلك في العامة . غير هؤلاء المعتزلة فانهم قالوا زدت في الفساد ، فان القوم أثبتوا معقولا وأنت أثبت شيئاً لا يعقل .

فصل

فكرت وقلت : من أصول هذا الباب اثبات المكان ، فألقيت بينهم أنه تعالى في مكان وأنه على العرش ، فقبلتم أحسن قبول واعتقدتم ذلك وناظرتم فيه . غير هؤلاء المعتزلة فانهم قالوا المكان يوجب التجسيم ، والجسم يكون محدثاً . وقالوا : ما جاز أن يكون في مكان جاز أن يكون في غيره ، وذلك يوجب جواز

١. سورة لقمان (٣١) : ٣٤ .

٢. سورة المائدة (٥) : ٦٧ .

٣. هم أتباع محمد بن كرام السجزي النيسابوري ، الماضي ذكره . بقوا في خرسان حتى أوائل القرن السابع الهجري . وكانوا يقولون بأن الله تعالى مستقر على العرش وأنه جوهر ، الى غير ذلك من آرائهم الشاذة .

٤. هو أبو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري ، امام المذهب الاشعري . ولد بالبصرة ومات ببغداد سنة ٣٢٤ .

الحركة والسكون والزوال والانتقال . وقالوا : ما الفرق بين ملك على سريره وبين الرب على كرسيه على هذا المذهب؟ وهل هذا الامناقض لقوله تعالى «أَيَسَّ كَمَثَلِيهِ شَيْءٌ»^(١) وقوله «وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْكُم مِّنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»^(٢). حضرت يوماً مجلساً وفيه جماعة من مشايخنا ومن المعتزلة ، فجرى مسألة العرش ، فقال شيخ منا : انه تعالى يقول: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»^(٣) و على يقتضي الفوق . فقال المعتزلي: فقل في قوله تعالى « اذْ وَفَّوْا عَلَى رَبِّهِمْ»^(٤) أنهم فوقه . فانقطع . وروى بعضهم أنه تعالى خاق آدم على صورته ، فقال المعتزلي : فاذاً يجب أن يكون مؤلفاً مركباً محدثاً كما كان آدم . قال : فما معنى الحديث ؟ قال : ان صح فالمراد قيل^(٥) رأى رجلاً فقال ان آدم كان على صورته ، وقيل أراد أنه خلقه على ما كان عليه من غير انتقال من حال الى حال . فقالوا : الصواب أن لانمكن المعتزلة من حضور مجلسنا والكلام في أذيتنا فانهم يشوشون علينا المذهب فأخرجوه . فخرج وهو يقول :

فلو كنت الحديد لفلقوني ولكني أشد من الحديد^(٦)

ولقد زادت شيوخنا من الكرامية ، فقالوا انه تحله الاعراض ويخلو منه كما في الاجسام سواء . وزادت الحنابلة فقالوا بالصعود والنزول . وأنكرت المعتزلة

١. سورة الشورى (٤٢) : ١١ .

٢. سورة ق (٥٠) : ١٦ .

٣. سورة طه (٢٠) : ٥ .

٤. سورة الانعام (٦) : ٣٠ .

٥. كذا في الاصل .

٦. البيت في عيون الاخبار لابن قتيبة ١ : ٢٥٦ (طبعة دار الكتب) منسوباً الى

رجل من بنى الدليل ، وفيه : « لكسروني » .

ذلك فقالوا : ليس له مكان ولا يجوز عليه الانتقال ولا تحله الاعراض ، اذ لو جاز
أن يحله بعض الاعراض جاز أن يحله الجميع ، ولأن ما حله العرض يكون
محدثاً .

الباب الثالث

فى العدل

تأملت أحوال هذه الملة فوجدتهم بأجمعهم يقولون انه تعالى عدل لا يظلم ولا يجور ، وأن جميع أفعاله حق وجميع أقواله صدق ، وذكروا أن ذلك فى دين الرسول يعلم ضرورة وأن الكتاب نطق به نصاً ، وعلمت أنى لودعوتهم الى مخالفة هذا الظاهر لا يروج ولا يقبل . فدعوتهم الى أمور تفصيلها ينقض هذه الجملة واثباتها يرفع هذه الكلمة . فأول ما ألقىت اليهم : أنه لا يقبح منه شيء لان الامر أمره والملك ملكه ، وأنه ليس بمأمور ولا منهي ولا مملوك ولا مربوب وانما يقبح الامور لهذه الوجوه . ثم ثنيت عليه أن جميع القبائح منه ، وأنه يخلق الكفر ثم يعذب عليه ، وأنه يعذب بغير ذنب ويعذب واحداً بذنب آخر ، وأنه يخلق النار قوماً ويكلف ما لا يطاق أخرى ، الى غير ذلك . فقامتمونى بالقبول وصدقتمونى فى ما أقول ودنتم به ونصرتموه .

وأنكرت المعتزلة هذا الاصل أشد انكار ، وقاموا وقعدوا فى أبطاله ، وقالوا هذا ينقض الاصل المجمع عليه وما أشار النص اليه ، وقالوا : لا ظلم أعظم من أن يعذب بغير ذنب أو يخلق الكفر ثم يعذب عليه ، وذكروا أن القبيح قبيح من كل فاعل وأنه يقبح لوجه يرجع اليه ، ودلوا على ذلك بأنه لو قبح للنهي لحسن للامر فكان لا يحسن منه شيء ، وقالوا : لو جاز ما قلتم لجاز أن يظهر المعجز على [أيدي] الكذابين فيحسن منه ، واجاز أن يكذب فى اخباره فيحسن ، ولجاز أن

يرسل رسولا يدعو الى الباطل فيحسن . وقالوا : لوجب للنهي لاختص بمعرفته
من عرف النهي . وأبدوا كلامهم بآي من الكتاب ، ورووا الاخبار عن النبي
- صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وأصحابه .

فأما أنتم اخواني وساداتي فما خالفتموني في ذلك كصنيع المعتزلة ، بل
قبلتم ورويتم في ذلك الاحاديث وقلتم : انه يعذب الاطفال بذنوب الالباء ، ويحمل
ذنوب المسلمين على اليهود والنصارى ، وانه لو عذب الانبياء وأتاب الفراعنة
لا يقبح منه ، ولو أضل العالمين وعذبهم لا يقبح ، وانه خلق عبادة الاوثان وسب
نفسه وقتل الانبياء والاولياء وكل كفر وضلال .

اجتمع عندي نفر من مشايخنا ومن المعتزلة ، فاذا قرأ قارىء : « وَالَّذِينَ
آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ » ^(١) ، فقال رجل من المعتزلة : لأحد أشد حباً لله من
المعتزلة ، ف قيل له : لم ؟ قال : لانهم قالوا هو المنعم بضروب من النعم ومنه
كل الخيرات ولاشرفى أفعاله ولاقبح فى قضاياه ، يرجى من عنده كل خير
ويؤمن كل شر ، ينبى على القليل الكثير ويعفو عن السيئات ، ومن كان هذا
حاله فلاحب فوق حبه ، والمجبرة تزعم أن كل شر من عنده وأنه لا يؤمن شره
بل لا يؤمن من شره من عبده مائة سنة أن يدخله النار وأن يخلق فيه الكفر وينزله
مع الكفار ، فمن هذا اعتقاده فيه كيف يحبه ؟

وقص سيفويه القاص ^(٢) فقال في قصصه : من أنت حتى لا يظلمك الله يا عاض
بظرامك ؟ نعم يظلمك هو انأ لك ويعذبك بغير جرم ويخلق فيك الضلال ويأخذ

١ . سورة البقرة (٢) : ١٦٥ .

٢ . ورد ذكره وبعض أخباره فى البصائر والذخائر لابی حيان التوحيدى (دمشق -

١٩٦٦ بتحقيق ابراهيم الكيلانى) ٤ : ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٨٦ وأخبار الحمقى

والمغفلين لابن الجوزى (النجف - ١٣٨٦) : ١٢٢ - ١٢٣ وغيرهما .

به ويكلفك ما لا تستطيع . فقام معتزلي من بين المجلس وقال : تبأ لك مع هذه المقالة ، هذا سوء ثناء على رب العالمين . فقالوا : أخرجوه ولا تستمعوا اليه . وذكر أبو عامر الانصاري وهو عدلي لمجبر : تعال حتى نصدق وننتصف وننتصف ، أليس يجوز عندك أن يعذب الله رجالا لم لم يكونوا نساء ، ويعذب نساء لم لم يكونوا رجالا ، ويعذب سوداً لم لم يكونوا بيضاً ، ويعذب بيضاً لم لم يكونوا سوداً ، كما يعذب الكفار- مع خلق الكفر فيهم - لم لم يكونوا مؤمنين ، ويكون منه حسناً عدلا وان كان مثل ذلك منا جوراً ؟ قل : نعم . قال : فهلا جاز أن يقول : هلكت عاداً ولم يهلكهم ، وأقيم القيامة ولا يقيمها ، ولا يكون كذباً منه وان كان كذباً منا ؟ فسكت . ثم قال : لا قول أشنع من هذا ، لقد عزمت على الرجوع ورجعت عن هذا القول . فقام القوم اليه بالتمعال وقالوا : أتوهن مذهبنا وتضعف مقالتنا ؟

وقرأ قارئ قوله تعالى « فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ » ^(١) ، فقال معتزلي يكنى أبا عمران ^(٢) : لو كان الامر كما تزعمونه يا معشر المجبرة لكان لهم أن يقولوا يذهب بنا ، فلم يكن لهذا القول معنى . كما روي أن مجبراً سئل أين تذهب ؟ فقال : لا أدري ! حيث يذهب بي ، ثم قال : وهل هذا الاصفة المجنون ؟ وكما يحكى عن أبي العيناء ^(٣) أن رجلاً وقع في الماء فقبل له أين تذهب ؟ فقال السؤال على الماء ! وسئل معتزلي : لم قلت ان الله تعالى لا يضل ؟ قال قوله : « قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ »

١. سورة التكوير (٨١) : ٢٦ .

٢. لعله أبو عمران الرقاشي أو أبو عمران يونس بن عمران ، وكلاهما من متكلمي المعتزلة في القرن الثالث (راجع طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار : ٢٧٩ و ٢٨٣ - ٢٨٤ من طبعة فؤاد سيد) .

٣. هو محمد بن القاسم البصري الهاشمي ، من ظرفاء الدهر . اشتهر بنوادره ولطائفه . مات سنة ٢٨٣ .

فَانَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَأَنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي^(١) فَأَمْرُهُ
أَنْ يَنْسَبَ الضَّلَالَةُ إِلَى نَفْسِهِ وَرَضِي بِهَذَا الْقَوْلَ لَهُ مَذْهَبًا ، أَفَلَا تَرْضَوْنَ بِذَلِكَ ؟
فَانْقَطَعَ الْمَجْبِرَةُ ^(٢) .

فصل

ومما أُلْقِيتَ إليهم من هذا الجنس أن الله تعالى يضل عن الدين ويخلق الضلالة
عن الحق المستبين ويزن الكفر في قلوب الكافرين ويكره إليهم الاسلام والمسلمين ،

١ . سورة سبأ (٣٤) : ٥٠ .

٢ . كتب في هامش هذه الصفحة من الاصل بخط مشابه لخط الاصل ما يلي :

« ذكر السيد أبو طالب الحسنى فى كتابه الموسوم بملحق الافادة : حدثنى
مشايخنا أن محمد بن جرير لعنه الله ! حضر مجلس الداعى محمد بن زيد وكان
أبو القاسم البلخى حاضراً فقيل لمحمد بن جرير : سل أبا القاسم عن مسألة ،
فقال له ابن جرير : أتقول ان الله يملك السماوات والارضين وجميع ما يحدث
فيهما ؟ فقال أبو القاسم : نعم ، فقال ابن جرير : اذا كان الله مالئاً لجميع ما يحدث
فى السماوات والارضين فما الذى تنكر من أنه خالق له ؟ فقال له أبو القاسم
- وأومى الى غلمان أتراك كانوا وقوفاً حوالى سرير الداعى - : أتقول ان
هؤلاء الغلمان قد ملكهم الداعى وهو مالك لهم ؟ قال : نعم . قال : فالداعى
خلقهم ؟ فخرج ابن جرير المجبر لعنه الله ! » .

« ذكر أبو أحمد الحسن بن [عبد الله بن] سعيد العسكرى فى الكتاب الموسوم
بالمواعظ والزواجر : حدثنا محمد ، قال حدثنا عبيد بن الحسن بن يوسف ،
قال حدثنا سليمان بن داود ، قال حدثنا حفص بن غياث ، عن حجاج ، عن [ابن
أبى] مليكة (١) ، عن ابن عباس ، قال : سبحان الله تنزيه الله نفسه عن السوء .
وكيف ينزه الله من يزعم أن السوء كله من الله ؟ » .

١ . هو أبو محمد عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة التيمى المكى ، تابعى ، روى
عن ابن عباس وغيره من الصحابة وروى عنه كثيرون ، ولى قضاء الطائف لابن
الزبير ، ومات سنة ١١٧ (راجع أيضاً تاريخ يهق : ١٦٠ والعقد الفريد ٤ : ٨) .

فقبلتم ذلك وقلتم صدقت !

وأنكرت المعتزلة ذلك أشد انكار ، وقالوا : هذا يهدم الدين ويناقض كلام رب العالمين ، وتلوا : «وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى»^(١) و«أَضَلَّهِمُ السَّامِرِيُّ»^(٢) و«رَبِّ انْهَنَّا أَضَلَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ»^(٣) ، وقالوا : يستحيل أن يأمر بشيء ويبحث عليه ثم يضل عنه وينهى عن شيء ثم يخلقه فيه . وقال بعض المعتزلة لمجبر : ممن الحق ؟ قال : من الله ، قال : من الحق ؟ قال : الله . قال : فممن الباطل ؟ قال : من الله . قال : فممن الباطل ؟ فسكت^(٤) . واجتمع عند جعفر بن سليمان^(٥) أبو الهذيل^(٦) ومكنف المجبر وهو لا يعرف أبا الهذيل . قال أبو الهذيل : أريد أن أسألك شيئاً وأتعلم منك . فقال : سل . فقال : خبرني عن طفل باغ فوق في قلبه أن الله واحد ، من أوقع ذلك في قلبه ؟ فقال : الله . فقال : أوقع في قلبه الحق وصدقه في ما ألقاه ؟ قال : نعم .

١ . سورة طه (٢٠) : ٧٩ .

٢ . نفس السورة : ٨٥ .

٣ . سورة ابراهيم (١٤) : ٣٦ .

٤ . ذكرت القصة في الفهرست لابن النديم : ٢٠٥ (من طبعة تجدد ، طهران - ١٣٩١ وهي ساقطة من طبعة فلوجل) كمنظرة بين عمرو بن فائد المعتزلي وأبو المنذر سلام القاريء المجبر . وانظر أيضاً الطرائف لابن طاوس (قم - ١٤٠٠) : ٣٣١ .

٥ . لعله جعفر بن سليمان بن علي العباسي ، والى المدينة المنصور ووالى البصرة للشريد ، وهو الذي ضرب مالك بن أنس بالسياط . مات بالبصرة (المعارف لابن قتيبة : ٣٧٦ من طبعة القاهرة - ١٩٦٠) .

٦ . هو محمد بن الهذيل البصري العلاف ، من كبار المعتزلة . توفي بسمراء سنة ٢٣٥ .

قال : فطفل آخر وقع في قلبه أن الله ثالث ثلاثة ، من أوقع ذلك في قلبه ؟ فقال :
الله . قال : فألقى الحق وصدقه في ما ألقاه ؟ فسكت مكئف . فقال جعفر : يا حمارا !
هذا أبو الهذيل .

ودعى مجبر مجوسياً إلى الاسلام ، فقال : الامر ليس الي . فقال : صدقت !
ومضى .

وحضر غلام عبد الله ^(١) بن داود ^(٢) - وكان مجبراً - مجلساً ، فقرأ قارئ
« ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ » ^(٣) ، قال : هو والله منعه ، ولو قال ابليس ذلك كان
صدقاً ، وقد اخطأ ابليس في الحجة ، ولو كنت حاضراً لقلت : أنت منعه ^(٤) .
فقال معتزلي من طرف الجلس : بعداً لك وسحقاً ! أنتحج لابليس ولايحج
لنفسه ؟ فانقطع ^(٥) . فقرأ قارئ : « وَأَنَّ عَلَيْنَا لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ » ^(٦)

١. في الاصل : عبد أمية .

٢. ورد ذكره في عداد متكلمي المجبرة في الفهرست لابن النديم : ١٨١ (طبعة
فلوجل) . والظاهر أنه أبو عبد الرحمن عبد الله بن داود الخريبي الكوفي ،
المحدث ، المتوفى سنة ٢١١ (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٤٣١ من طبعة ويستفلد)
أو ٢١٣ (المعارف لابن قتيبة : ٥٢٠ من طبعة القاهرة - ١٩٦٠) .

٣. سورة ص (٣٨) : ٧٥ .

٤. نقل البياضى هذه القصة عن مؤلفنا الحاكم في كتابه الصراط المستقيم (طهران
- ١٣٨٤) ١ : ٣٨ .

٥. كتب في الهامش بخط مشابه لخط الاصل مايلي :

« وعندي أن يعترض هذا المجبر على وجه آخر وان يقال له : أنت أشفق للشيطان
منه على نفسه . أو ما سمعت قول ابليس حيث قال : « فبعتك لاغوينهم أجمعين » ؟
حكى محمد بن عبد الحميد عن محمد كياء البخارى ، قال حدثني اصفاهان بن علي
- وهو ولد الشيخ ظ - قال : حضرت مجلس مجبر بقزوين وكان المجبر رجلاً
عالماً فسئل بأى [شئ] كفر ابليس ؟ فقال : قد قال علماؤنا في ذلك كلاماً ولكن

فقال المعتزلي : معاشر المجبرة ! أليس الله تعالى قد لعن أشياء وأقواماً ؟ قالوا : نعم . قال : فهل فى العالم غيره اوغير خلقه ؟ قالوا : لا . قال : فيلعن نفسه أو خلقه ؟ فتحير القوم وانقطعوا .

وقال معتزلي لمجبر : الزناخير للزاني أم تركه ؟ فقال : الزنا . قال : لم ؟ قال : لان الله قضى ذلك عليه ، وقضاء الله له خير ! فقال : تباً لك أن تقول الكفر خير له من الايمان والزنا خير من الاحصان .

ونظيره مايحكى عن بعضهم أنه قال : ازنية أزنيها أحب الي من عبادة الملائكة ! فقيل له : ولم ؟ قال : لعلمي أن الله تعالى قضاهما خلي ، ولم يقض الا ما هو خير لي ^(١) .

وخطب بعض المعتزلة فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : أيها الناس لأحد أقبح ثناء على رب العالمين من هؤلاء المجبرة حيث قالوا : بأمر بمالم يرد وينهى عما أراد ثم يقضي بما

عندى وجه آخر لا يمكن لاحد أن يعترض عليه ، فانما كفر لانه قال « لاغوينهم أجمعين » فأضاف الاغواء الى نفسه وهو من الله لامن فعل ابليس ، فلذلك كفر . قال الفقيه اصفاهان : ماكنت أعرف شيئاً يمكن أن نعترض عليه ، وسألت كثيراً من علمائنا فما أجابوا بشيء . فقلت لفقيهنا البخارى : ماتقول فى اعتراضه ؟ فقال : لا أدري . فقلت : عندى اعتراض على هذا الكلام بحيث يجعله كأن لم يكن . فقال : ما هو ؟ قلت : نقول له ماكفر ابليس لهذا وانما كفر لقوله الاخر حيث قال « رب بما أغويتنى » فأضاف الاغواء الى الله وهو من فعل ابليس ، فكفر لهذا لانه قال ان الله ظالم حيث أغواه ثم يعاقبه على ذلك . واستصوبه استاذى محمد كياه البخارى .

٦. سورة ص (٣٨) : ٧٨ .

١. نقل البياضى هذه القصة عن مؤلفنا الحاكم فى كتابه الصراط المستقيم ٣ : ٦٦ .

نهى عنه ثم يعذب عليه ، وانه يخلق فعلاً ثم يقول لم فعلتم ؟ ويغضب على ما خلق وقضى وأراد ، ويأمر بشيء ويحول بينه وبين ما أمر به ، ويقضى أمراً ثم يأمر القضاة والولاة والغزاة رد ما قضى وقدر وأراد وخلق ، وأمر بحدود يقام على شيء خلقه ، فأمر بجلد الزاني - وخلق فيه الزنا - وقطع السارق - وهو الذي قدر فيه السرقة - ، وجعل مال زيد رزقاً لعمرو وخلق أخذه ثم قال لم أخذت ؟ وعاتبه عليه ، وأنه خلق الكفر وكبره الايمان وبعث الانبياء دعاة الى خلاف مراده وضد قضائه . فانظر الى سوء ثنائهم الى ربهم ، وانظر الى حسن ثناء أهل العدل على الهيم حيث قالوا : انه حكيم أمر بما أراد ونهى عما كره ، وقضى الايمان ورضيه وأحبه وزينه ، ونهى عن الكفر وكبره وغضب عليه وسخطه ، كما قال الله : « وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْعِصْيَانَ »^(١) ، وانه بعث أنبياءه بالحق ليدعوا الى الحق الذي أراده ، وأنزل الكتاب ليهتدوا به ، وهدى الى الدين وما أضل أحداً من العالمين ، وانه يثيب من أطاعه ويعاقب من عصاه ، فاحمدوا الله على الدين وقولوا : الحمد لله رب العالمين .

وسأل عدلي مجبراً : هل تملك من أهلك ومالك شيئاً ؟ قال : لا . قال : فما تملكه منهم جعلته في يدي ؟ قال : نعم . قال : اشهدوا أن نساءه طوالق وعبيده أحرار وماله صدقة في المساكين . فكانت ممن تقول بالعدل ، فتحوات عن منزله وسألت العلماء ، فأفتوا بوقوع ذلك كله . وصارت ضحكة وشهرة^(٢) . وسألت جماعة عمرو بن فائد^(٣) - وهو معتزلي - عن القدر ، فقال :

١. سورة الحجرات (٤٩) : ٧ .

٢. نقله البياضي في الصراط المستقيم ٣ : ٥٩ - ٦٠ .

٣. هو أبو علي عمرو بن فائد الاسوارى البصرى ، من متكلمي المعتزلة . توفي حوالى سنة ٢٠٠ .

أقيموا ربكم مقام رجل صالح ، حتى أنكم ان كان ما قيل حقاً فلا تعاتبوه وان كان باطلا فلا تنهموه . وأنشد :

من لم يكن لله متهماً لم يمس محتاجاً الى أحد

وأراد مجبر الخروج الى مكة وودع أهله وبكى، ف قيل له : سيحفظهم الله ! قال : ما أخاف عليهم غيره ! فقال معتزلي : كذبت ! أتخاف وهو أرحم الراحمين؟ وبعث محمد بن سليمان^(١) الى رجل يقال انه معتزلي فدعا بالسيف والنطع، فدخل وهو يضحك ، فقال : تضحك فى مثل هذه الحالة ؟ فقال : يا محمد بن سليمان ! رأيت لوقام رجل فى السوق فقال: ان محمد بن سليمان يقضى بالجور وجمع بين الزانيين ويريد الفواحش ، فاعترضه رجل فقال : كذبت بل يقضى بالحق ولم يرد الجور ولا يفعل الفواحش ، فأيهما أحب اليك ؟ قال : من دفع عني وأحسن الثناء علي . قال : فاذاً لأبالي بعدما أحسنت الثناء على رب العالمين . فانقطع ومن حوله من المجبرة . قال محمد : اذهب ولا تذكر الا بخير^(٢) .

وجاء رجل الى منزل عبد الله بن داود^(٣) وكان غائباً ، فلما رجع قال : كنت أصلح بين قوم . ف قيل : أصلحت ؟ قال : أصلحت ان لم يفسد الله ! فقال واحد : كذبت ! الله لا يفسد بل هو المصلح الحسن الثناء ، ونسىء الثناء على ربك . فانقطع .

١. هو محمد بن سليمان بن على العباسى ، أمير البصرة فى أيام المهدي والرشد .

مات سنة ١٧٣ .

٢. نقله البياضى فى الصراط المستقيم ٣ : ٦٦ .

٣. مضى ذكره . والقصة مذكورة فى الفهرست لابن النديم : ١٨١ (من طبعة فلوجل).

قال داود الاصفهاني^(١) للموفق^(٢) : قد أهلك الناس أبو مجالد^(٣) . قال : قطعك أبو مجالد ، الله تعالى أهلك الناس أو أبو مجالد ؟

ومر معاذ بن معاذ^(٤) بلبص يقطع ، فالتفت اليه وقال : انه لمظلوم ، يخلق فيه السرقة ثم يؤمر بقطعه . قال عدلي : أما رضيت يا جاهل بأن أضفت السرقة اليه تعالى حتى نفيته عن اللص ، فأضفت اليه الامر بالقطع على شيء فعله هو ، ولو وصف بهذا قاض لكان سوء ثناء فكيف برب العالمين .

وجاء خراساني الى أبي الهذيل وسأله عن العدل ، فقال : يا خراساني من جاء بك من خراسان ؟ قال : الله . قال : من جاء باللص حتى قطعوا عليك الطريق ؟ قال : الله . قال : فمن جاء بالسلطان حتى قطع أيديهم ؟ قال : الله . [قال :] فإذا الله فعل جميع ذلك حيث جاء بك من خراسان وجاء باللص ليذهب مالك وجاء بالسلطان ليقطع يده ، هذا فعل حكيم ؟ فانهقطع وتاب . ودعا مجبر فقال : يارب ! أفسدتنا فأصلحنا . فقال عدلي : أسكت لا أم لك ! هو المصلح .

وقيل لهشام بن الحكم^(٥) : أترى الله كاف عباده مالا يطيقون ثم يعذبهم عليه ؟ قال : والله قد فعل ذلك ولكن لانجسر أن نتكلم .

١. داود بن علي الظاهري . مضى ذكره .

٢. هو الموفق بالله طلحة بن المتوكل جعفر العباسي ، آلت اليه ولاية عهد أخيه المعتمد وقام بأعباء الملك فعلا ، ولكنه لم يل الخلافة اذ مات في أيام اخيه سنة ٢٧٨ .

٣. هو أحمد بن الحسين البغدادي ، من متكلمي المعتزلة في القرن الثالث واستاذ أبي الحسين الخياط مؤلف الانتصار . توفي سنة ٢٩٨ .

٤. هو معاذ العنبري ، الماضي ذكره .

٥. هو ابو محمد هشام بن الحكم الكوفي ، من كبار متكلمي الامامية . صنف كتباً كثيرة . توفي حوالي سنة ١٩٠ .

وعن بعضهم قال : رأيت مجبراً في المنام فقلت له: ما فعل بك ربك ؟ قال :
هو على قولكم ، قدرني !

واجتمع جماعة بطرسوس يرمون الهدهد ويشتمونه ، فقيل : ماذا نبيه ؟
 قالوا : هو قدرني حيث قال : « وَزَيَّنْ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ »^(١)
 فأضاف العمل اليهم والتزين الى الشيطان ، وجميع ذلك فعل الله تعالى . قال :
 أنتم تنفون الذنب عن الشيطان وتصفون به الرحمن ؟

وذكر أبو محمد المزني^(٢) - وكان ظريفاً - فقال : اذا أعطيت كتابي يوم
 القيامة قلت عرفت ما فيه ولكن أسأل عن شيء أتيت به أنا باختيارى أو خلق فيّ ولم
 أقدر على تركه ؟ فان قالوا « فعلته باختيارك » قلت : يارب العبد الضعيف أخطأ
 وأساء وعلى عفوك وفضلك توكل ، فان عفوت فبرحمتك وان عذبت فبعدلك ،
 ولوقالوا « بل خلق فيك وقضى عليك وأنت تعذب عليه » قلت : يامعشر الخلائق !
 العدل الذي كنا نسمع به في دار الدنيا ليس هاهنا منه قليل ولا كثير^(٣) .

وقال أبو الهذيل لحفص^(٤) القرد^(٥) : هل في المعلوم شيء الا الله وخلقته ؟

١. سورة النمل (٢٧) : ٢٤ .

٢. في متشابه القرآن لابن شهر آشوب : ١٩٦ « أبو محمد المدائني » .

٣. نقله البيضاوى فى الصراط المستقيم ٣ : ٦٠ وابن شهر آشوب فى متشابه القرآن :

١٩٦ .

٤. هو أبو عمرو المصرى البصرى ، متكلم مناظر ، ينسب الى القول بالجبر ، عاش
 فى النصف الاول من المائة الثانية .

٥. كذا فى الاصل هنا وفى سائر الموارد التى ذكر اسمه فى الكتاب ، وورد بهذا
 الشكل أيضاً فى المحيط بالتكليف للقاضى عبد الجبار : ٤١٥ ، ونقل عنه ما يمكن
 أن يكون وجه تلقيبه بهذا اللقب . فالظاهر أنه الاصح ، لا « الفرد » بالفاء كما
 ورد فى سائر المصادر .

قال : لا . قال : يعذب على نفسه أو خلقه ؟ فانقطع ^(١) .

وقال معتزلي لمجبر : لم قلت بالاجبار ؟ قال : ألقينا ذنوبنا على ربنا واتكينا على جنب ! فقال : أيش ألزمكم بعد هذا ؟

وقال آخر لمجبر : لم سمي الظالم ظالماً ؟ قال : لانه فعل الظلم . قال : فمن خلق الظلم ؟ قال : الله . قال : فهلا سميته ظالماً ؟ فانقطع ^(٢) .

وقال آخر لمجبر : من نهى عن الزنا ؟ قال : الله . قال : ومن خلقه وأراد به ؟ قال : الله . قال : ومن عابه وأوجب عليه الحد ؟ قال : الله . قال : كيف نهى ثم خلق ثم عاب ؟ فانقطع وأنشد :

لاتنه عن خلق وتأتني مثله عار عليك اذا فعلت عظيم ^(٣)

ثم قال العدلي : ان قوماً من بني اسرائيل خرجوا للاستسقاء ، فأوحى الله الى نبيهم لأسقيكم وفيكم رجل غماز ، فقال : يا رب ! من هو حتى نخرجه ؟ فقال : لا أعيب شيئاً ثم أفعله . وأنشد لمحمود الوراق ^(٤) :

١ . يأتي تمام القصة في الباب الخامس ، ونقلها البياضي في الصراط المستقيم ٥٩ : ٣ .

٢ . هذه مناظرة وقعت بين أبي علي الجبائي المعتزلي وصقر متكلم المجبرة ، فراجع طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار : ٢٨٧ (من طبعة فؤاد سيد) . ونقل القصة ابن شهر آشوب في متشابه القرآن : ١٢١ .

٣ . البيت لابي الاسود الدثلي ، وهو في ديوانه (طبعة محمد حسن آل ياسين ، بيروت - ١٤٠٢) : ٤٠٤ .

٤ . هو محمود بن الحسن الوراق ، شاعر من أوائل المائة الثالثة ، أكثر شعره في المواعظ والحكم . توفي حوالي سنة ٢٢٥ . والشعر لم يرد في ديوانه المطبوع (بغداد - ١٩٧٩ من جمع عدنان العبيدي . وجمع محمد زهدى يكن ، بيروت - ١٤٠٣) . كما ليس فيه الايات الخمسة التي نقلها له الشيخ المفيد في أماليه (قم - ١٤٠٣) : ١٠٨ - ١٠٩ .

ولا تلزم الذنب المقادير جاهلاً وأنت ولي الذنب ليس المقادير
فلو كان للمقدور في الذنب شركة لكان له حظ من الذنب وافر
واختصم عدلي ومجبر بين يدي بعض الولاة ، فلما قام [المجبر] اعتمد
بيديه على الأرض وقال : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا
في السماء . فقال العدلي : ما هذا الشيء الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض
ولا في السماء ؟ وعندك لا ضرر إلا من قبله . فانقطع .
وقال مجبر لعدلي : أرأيت لو كان لي قطعة طين ألي أن أعمل ما أحببت ؟
قال : نعم . قال : ألي أن أعمل منه ثلاث جرار ، معوجة ومكسورة وصحيحة ،
ثم أطبخها بالنار ؟ قال : نعم لكن بشرط أنها لو خرجت كذلك لا تسأل عنها لم
صارت معوجة ومكسورة وصحيحة . ثم قال : وأنا أسأل . قال : سل . قال :
ما تقول في رجل غرس في بستان له خوخاً لم يغرس غيره ، ثم قال للغلام اذهب
إلى البستان فايتنى بكل فاكهة ، فقال الغلام : ليس في البستان إلا الخوخ ،
قال اذهب فأحرقه ! أم لم يكن فيه سوى الخوخ ، أهذا حكمة ؟ قال : لا . قال :
فكيف جوزت على ربك أن يخلق كافراً ثم يعذبه لم لم يكن مؤمناً ؟ فانقطع^(١) .
وقال مجبر يوماً : يا مصلح المفسدين ! فقال عدلي له : أم قلت ذلك ؟
قال : لان الصلاح منه . قال : فقل على مذهبك يا مفسد المصلحين ! لان الفساد
منه . ففكر ثم قال : يلزمني ذلك لكنه قبيح . فسكت .
وسأل آخر مجبراً فقال : أليس تقرر في العقول الاحسان الى الولي والاساءة
الى العدو ، وأن من فعل ذلك يكون حكيماً ومن فعل ضده وصف بالسفه ؟ قال :
نعم . قال : أرأيت رجلاً عبد الله مائة سنة وآخر عبد الوثن مائة سنة ، فخلق في
الاول الكفر وأدخله في النار وفي الثاني الايمان وأدخله الجنة ، أليس عدوه

١ . نقلة البياضى في الصراط المستقيم ٣ : ٦٠ .

أحسن حالا من وليه ؟ فانه قطع .

وحكى بعض المعتزلة أن امير المؤمنين .. عليه السلام - مر بقتلى نهر وان فقال : تعساً لكم ! لقد ضرركم من غركم . فقال بعضهم : من غرهم ؟ قال : الشيطان والنفس الامارة بالسوء والاماني . فقال مجبر : كان علي معتزلياً والله ! فآله غرهم وفعل بهم ما فعل وأوردهم تلك الموارد .

وسأل عدلي مجبراً عن قوله تعالى « إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً »^١ هذا الكيد كيد الله أم كيد غيره ؟ فان قلت : كيد الله فكيد ضعيف ، وان قلت : كيد غيره فهو ما تقول ، ان كيد الله حق وكيد الشيطان باطل . فانه قطع .

فصل

جمعت يوماً بين معتزلة الجن ومجبرة الجن للمناظرة ، فقال معتزلي : يلزم على مذهب الجبر هدم الدين فقليل : ولم ؟ قال : خذوا : انهم يلزمهم نفي الصانع لانهم اذا لم يثبتوا في الشاهد صانعاً فاعلا لم يكن في الغائب ، ويلزمهم نفي النبوات لانهم اذا جازوا عليه كل قبيح لا يؤمن أن يظهر المعجز على كذاب وأن يبعث رسولا يدعو الى الضلال ، ويلزمهم ان لا يكون للبعثة معنى لانه اذا أضل أحداً فلا معنى للبعث اليه واذا هدى أحداً فلا معنى واذا كان هو الخالق لهذه الافعال فلا معنى للرسول والكتاب ، ويلزمهم ابطال الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر لاستحالة تغيير ما فعله هو فكأنه أمر بالجهاد لاعدام ما يوجد هو ويجاد ما يعدمه هو ، ويلزمهم أن لا يصح اثبات قادر في الشاهد لانه هو الخالق للافعال ، ويلزمهم أن لا يصح اثبات عالم لان الفعل خلقه ولانه يوجد بقدرة موجبة

١. سورة النساء (٤) : ٧٦ .

فيلزمهم أن يصح أن يفعل العبد الاجسام لو وجد فيه القدرة، ويلزمهم بطلان الأمر
والنهي والمدح والذم لان الافعال مخلوقة فيهم وهم مجبرون عليها ، ويلزمهم
تكليف ما لا يطاق وتكليف العاجز والزمن بالمشي والاعمى بالنظر . وأخذ يعد
ذلك والقوم سكوت وهو يوبخهم ، حتى تفرقوا .

الباب الرابع

فى القضاء والقدر وذكر القدرية

ولقد فكرت فى مسألة القضاء والقدر فوجدت لى فيها مجالاً وفى المقام مقالا ،
فألقيت اليكم بأن الكفر وجميع المعاصي بقضاء الله وقدره ، فقبلتم منى وجعلتم
ذلك عمدة لكم وأحلتم كل قبيح يحدث فى العالم على القضاء والقدر .

وأنكرت المعتزلة ذلك أشد الانكار وقالوا : مامعنى قولكم كل شىء بقضائه؟
ان أردتم « بخلقه » فمعاذ الله أن يكون الكفر بقضائه وخلقه ، وان أردتم « بأمره »
فهو خلاف الاجماع لانهم أجمعوا أنه لا يأمر بغير الطاعات ، وان أردتم « العلم
والبيان » فنحن نقول انه يعلم جميع الاشياء قبل كونها لانه عالم لذاته لا يخفى
عليه خافية فى الارض ولا فى السماء . وقالوا : ثبت فى دين النبى - صلى الله عليه
وعلى آله وسلم - أن الرضا بقضاء الله واجب ، فلو كان الكفر بقضائه يوجب
الرضا به ، والرضا بالكفر كفر ، وتلوا قوله تعالى : « وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ
الْكُفْرَ »^(١) . وقالوا : من قال انه يرضى فقد خالف النص . وقاموا على رأس
هذا الامر ، فأعياني أمرهم وبهتني شأنهم .

واجتمعت أنا وهم فى مجلس فجرى ذكر القدرية وأنهم مجوس الامة على
ماوردت به السنة . فقالت المعتزلة : القدرية هم المجبرة لوجوه أربعة :

١ . سورة الزمر (٣٩) : ٧ .

أحدها : أن هذا الاسم أخذ من القدر ، وإنما يؤخذ من الاثبات لامن النفي
كالوحدة والمشبهة والمجسمة ، وقد اختلفنا أن المعاصي بقدر الله أم لأفقلتم بلى
وقلنا لا ، فأنتم بالاسم أولى منا .

وثانيها : أنكم لهجتم بذلك القدر في اضافة القبيح اليه ، فنسبتم اليه كما
يقال تدري .

وثالثها : روى أن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - سئل : من القدري ؟
فقال : قوم يعملون المعاصي ثم يقولون الله قدرها عليهم .

ورابعها : أنه شبههم بالمجوس ، ومذهب المجبرة عين مذهب المجوس
لان المجوس تقول : من يقدر على الخير لا يقدر على الشر ومن يقدر على الشر
لا يقدر على الخير ، والمجبرة تقول : من يقدر على الايمان لا يقدر على الكفر
ومن يقدر على الكفر لا يقدر على الايمان ، ومذهب المعتزلة بالضد من هذا ، فعندهم
يستحيل أن يقدر على الخير ولا يقدر على الشر ولكن اما أن يقدر عليهما أو لا
يقدر . فلم يكن عندهم جواب .

غير أن بعض مشايخنا روى أن آدم وموسى عليهما السلام التقيا في السماء
فقال موسى : يا آدم ! أليس الله قد أنعم عليك بأن خلقك بيديه وأسكنك جنته
وأسجد لك ملائكته وأنعم عليك بضروب النعم ثم أكلت ما نهاك عنه ؟ فقال :
يا موسى ! بكم سنة تجد ذلك مكتوباً علي ؟ قال : بألف سنة ، قال : أفأقدر على
تركها ؟ قال : لا . قال : فلم تلومني ؟ قال : فحج آدم موسى . قالت المعتزلة :
هذا كذب ، لو كان هذا عذراً لآدم لكان عذراً لجميع العصاة . قال بعض
المجبرة : نعم هو عذر للجميع لكن لا نجسر أن نقول كما قال آدم . فقال
معتزلي : إذا مثلنا كما قيل :

إذا مر ضمنا أنيناكم نعودكم وتذنبون فأتيناكم ونعتذر^(١)
فقلت المجبرة : نعم ! فضجوا وقالوا : افتضحت . وأنشد المعتزلي :
اصفع المجبر الذي بقضاء السوء قد رضي
فإذا قيل لم فعل - فقل هكذا قضي^(٢)
وقيل لمحمد بن واسع^(٣) وكان معتزلياً : ما تقول في القدر ؟ قال : إذا جمع
الله الخلائق سألهم عما أمرهم ولم يسألهم عما قضى عليهم .
وسئل جعفر بن محمد^(٤) - عليهما السلام - عن القدر فقال : ما استطعت
أن تلوم عليه العبد فهو فعله ، وما لم تستطع أن تلومه فهو فعل الله ، يقول الله للمعبود
لم كفرت ولم عصيت ؟ ولا يقول لم مرضت ؟^(٥)
وعن غيلان مطرف^(٦) [أنه] كان يقول : اللهم ارضني بقضائك ، فإن هذا
السارق لم يرض بما قسم الله له فسرقت ففطعت يده .

١. لم يسم قائله في ما وجدت فيه هذا البيت من المصادر ، مثل آداب النفس للبغائي :
٨٤ (طهران - ١٣٨٠) .

٢. في الصراط المستقيم للبياضى (طهران - ١٣٨٤) ١ : ٤٠ ورد البيت الأخير
هكذا :

وإذا قال لم فعلت قل له هكذا قضى
وفي مشابه القرآن لابن شهر آشوب : ١٩٦ :

فإذا قال لم فعلت فقل هكذا قضى
٣. لعله أبو بكر محمد بن واسع بن جابر الأزدي البصري الفقيه ، المتوفى سنة ١٢٣ ،
ولكن هذا عد من أهل الحديث .

٤. هو الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، سادس الاثمة الاثنى عشر . توفى
سنة ١٤٨ .

٥. الرواية في الطرائف لابن طاوس : ٣٣٠ وبحار الانوار ٥ : ٥٩ .

٦. كذا في الاصل ، ولعله محرف غيلان بن مسلم ، أى الممشقى الماضى ذكره .

واجتمع عدائى ومجبر رافضى فقال العدلي : مانقول ،على -عليه السلام -
قاتل معاوية على شىء جعل الله لمعاوية وقضاه له أم على شىء جعله لعلي -عليه
السلام - وقضاه له وغصبه معاوية ؟ فقال : بل على شىء جعله لمعاوية وقضاه له
ولم يجعل لعلي . فقال : فمعاوية أحسن حالا من علي حيث رضي بما قضي له
وجعل له ،وعلي لم يرض بما قضي له ولم يقنع بما جعل له ،فمعاوية وافق ربه
وعلي خالفه ! فانقطع .^(١)

وسأل المعتزلي مجبراً : أكان قتل يحيى بن زكريا بقضاء الله ؟ قال : نعم .
قال : فارضوا به ! فانقطع .

وصعد سلام القاري أبو المنذر^(٢) المأذنة ليؤذن ، فأشرف على سطحه فاذا
غلام له يفجر بجاريته ،فبادر فنزل وأخذهما ليضربهما ،فقال الغلام : أتلومني ؟
وان القضاء والقدر لم يدعانا حتى فعلنا ذلك ! فقال : لعلمك بالقضاء والقدر
أحب الي من كل شىء ، أنت حر لوجه الله !

وكان باصفاهان شيخ مجبر يؤذن ، فصعد المأذنة فرأى رجلاً يفجر بأهله ،
فبادر وهرب الرجل وأخذ يضرب المرأة وهى تقول له : القضاء والقدر ساقانا !
فقال : يا عدوة الله ! أتزين وتعتدين بمثل هذا ؟ فقالت : أوه ! تركت السنة
وأخذت مذهب ابن عباد !^(٣) فتنبه الرجل ورمى بالخشب وقبل ما بين عينيهما
واعتذر اليها ، وقال : لولاك لضللت فأنت سنية حقاً ! وجمع الصوفية ثلاثة أيام

١ . نقل البياضى هذه القصة وما يليها الى حكاية الجارية والكوز فى كتابه الصراط
المستقيم ٣ : ٦٥ - ٦٦ ملخصة .

٢ . هو سلام بن سليمان البصرى الطويل ، من رواة عاصم ، توفى سنة ١٧١ . والقصة
فى فهرست ابن النديم : ١٨٠ (من طبعة فلوجل) .

٣ . يعنى المصاحب بن عباد الوزير ، الماضى ذكره .

شكراً لله . فقلنا : ما لقينا منكم يا معشر المعتزلة !

ورأى مجبر رجلاً يزني بامرأته ، فقال : ما هذا ؟ قال : قضاء الله وقدره !
فقال : خيرة الخيار في ما قضى الله . فلقب «خيرة الخيار في ما قضى الله» ! وكان
إذا دعي به غضب .

واجتمعوا يوماً في مجلس فقال معتزلي : أنتم يا معشر المجبرة إذا ناظرتم
المعتزلة قلتم بالقدر وإذا دخلتم منزلكم تركتم ذلك وقلتم بالعدل لاجل فلس .
 قيل : ولم ؟ قال : إذا لقي الخصم قال ليس الينا شيء ، الأمر إلى خلقه وقضائه ،
 وإذا دخل منزله ووجد جاريته كسرت كوزاً يساوي فلساً ضربها وشتها ويلومها
 لو كسرت بعدها لافعلن كذا ، ونسي مذهبه .

و مر أبو عبد الله الموسوس بطرار اجتماع الناس عليه ، فكلم بعضهم أن
 يخليه ويرد المسروق فرد . فقال : أبو عبد الله : أيهما أعدل من قضى أخذها
 أو من رد عليه ؟ فبهتوا ، وأنشد لمحمود الوراق :^(١)

إذا ما أتى فاسق زلة على العهد منه يقولوا قلدر

إذا كان هذا على طاعة وهذا على الكفر كل جبر

فمن قد أطاع كمن قد عصى فما للعذاب بسذي مستمر

وان كان [ربي] له خالقاً فمن قد أطاع كمن قد كفر

حكى معتزلي فقال : ضرب مجبر بالسياط في سرقة ، فقال : مرحباً بقضاء
الله وقدره !

وقيل لمجبر : الله يقضي الفساد ويخلقه ؟ فاستلقى وقال : لي خمس بنات ،
لأخاف على افسادهن غيره^(٢) . فقال المعتزلي : صدق والله ! هذا حقيقة
مذهبهم .

١ . مضى ذكره ، والشعر لم يرد في ديوانه المطبوع .

٢ . أنظر الصراط المستقيم ٣ : ٦٥ .

وتشاجر معتزلي ومجبر في أن القدرية من هم ؟ فحيثوا بمجوسي فقالوا
له : يا مجوسي ! ممن المجوسية ؟ قال : من الله ! قال المعتزلي للمجبر : أينما
يوافقه ؟ ^(١) ثم أنشد :

أيتها المـجبرة الملعونة وبالمجوس في الهوى مقرونة

حـ. اولتم علة قوم ذمة من ثم سميت مجوس الامة

واجتمع أبو عمرو بن العلاء ^(٢) وعمرو بن عبيد ^(٣) فقال عمرو لابي عمرو :
هل تعرف في كلام العرب أن أحداً فرط في ما لا يقدر عليه ؟ قال : لا . قال :
فأخبرني عن قوله تعالى « يا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ » ^(٤)،
كانت حسرته في ما قدر عليه أو في ما لم يقدر عليه ؟ فقال أبو عمرو لأصحابه :
قد أبان لكم أبو عثمان القدر بحرفين ^(٥) .

وسأل مجبر عدلياً عن قوله عليه السلام - اذا ذكر القدر فأمسكوا والقدر
سر الله فلا تفشوه والقدر بحر عميق لا يدرك ^(٦) ، فقال : كل ذلك حجة على المجبرة
والقدرية . قال : ولم ؟ قال : أجمع المسلمون أن من أقر على نفسه بذنبه واستغفر
ربه ولام نفسه فهو قد أصاب الحق ، وعلى هذا كان السلف الصالح ، وبهذا نطق

١. أنظر الصراط المستقيم ٣ : ٦٤ ، وصدر القصة محرف في المطبوعة من هذا

المصدر .

٢. هو زبان بن عمار التميمي المازني البصري ، من أئمة اللغة والادب وأحد القراء
السبعة . توفي سنة ١٥٤ .

٣. هو أبو عثمان عمرو بن عبيد البصري ، شيخ المعتزلة في عصره . مات في سنة ١٤٤ .

٤. سورة الزمر (٣٩) : ٥٦ .

٥. انظر الصراط المستقيم ٣ : ٦٦ .

٦. أنظر نهج البلاغة : ٦٢٤ (بيروت - ١٣٨٢) وكتاب التوحيد للصدوق : ٣٦٥ .

القرآن في قوله «وَاخْرَوْنَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ»^(١)، وبهذا وردت السنة لما سئل النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أن هذا شيء يعلمه أو سبق القضاء له؟ قال: فقيم بعث، فالمراد إذا نسب المعاصي إلى القدر فأمسكوا ولا تقولوا كقول المجبرة. وقيل: إذا سئل عن أفعال الله لم كان هذا بصيراً وهذا أعمى وهذا غنياً وهذا فقيراً، فكلوا ذلك إلى تدبيره فإنه الحكيم في أفعاله العليم في قضايه، لا يفعل إلا الصواب ولم يرد إضافة القبيح إلى قضائه، مع قوله: «وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»^(٢) ويقول: «ان الله لا يأمُرُ بِالْفَحْشَاءِ»^(٣) و«لا يُحِبُّ الْفِسَادَ»^(٤) ولا يريد ظلماً للعالمين^(٥). ثم قال: ومن جهة أخرى -- وهو حجة عليكم -- وهو أنه أمر بالامساك فأمسكوا ولا تضيفوا الكفر والفساد إلى قدره، فإذا فعلتم ذلك خالفتم السنة وخضتم البحر المنهي عن خوضه وفشتم عن هذا السر وقلتم بالجبر. فانقطع. ثم قال: أخبرني هذا التفتيش المعيب منا أو منه؟ فإن قلت: منا تركت المذهب، وإن قلت: منه فهو الذي فتن سره، وإن قلت: منا ومنه فقد أشرت.

وجرى ذكر القدرية فقال مجبر: القدرية خصماء الرحمن وأنتم ذلك يامعشر المعتزلة! فقال: ننظر في المذهبين أيهما كان ألبق بأن يكون خصماً له، فمذهبنا أن نجعل الحجة كلها على عباده وأنتم جعلتم الحجة كلها للعباد عليه، وأنتم خصمه ونحن نذب عنه. ثم قال: حسبك بالقطع إذا دعينا ودعيتم يوم

١. سورة التوبة (٩): ١٠٢.

٢. سورة آل عمران (٣): ٧٨.

٣. سورة الاعراف (٧): ٢٨.

٤. سورة البقرة (٢): ٢٠٥.

٥. مأخوذ من قوله تعالى: «وما الله يريد ظلماً للعالمين» (سورة آل عمران - ٣

-- (١٠٨).

القيامة فقبل لكم : بم تشهدون؟ قلتم : يارب نشهد أن القوم لم يؤتوا في كفرهم وفسادهم الامن جهتك، أنت خلقت فيهم فأفسدتهم ، وحملت اليهود على اليهودية والنصارى على النصرانية، ولو كان أمرهم اليهم كانوا صالحين لكن أنت صدتهم وبقضائك عليهم الكفر منعهم وأنت نهيتهم عنها وأوقعتهم فيها ، فجميع ذنوبهم منك وجميع معاصيهم من قبلك ثم سخطت عليهم بغير حق وتعاقبهم بغير جرم ، ثم قلتم للقوم : أما نحن فقد بحنا ببراءتكم وقمنا بعذرهم واحتججنا لكم . ثم قيل لنا : يا أهل العدل ! بم تشهدون ؟ فقمنا بين صفوفهم وقلنا : يا رب ! نشهد أن هؤلاء كذبوا عليك ونحلوا اليك ماأنت منه برىء واعتذروا للظالمين وجعلوا دعوة الرسل لغواً وانزال كتاب القرآن عبثاً والامر والنهي باطلا واقامة الحدود تعنتاً والسؤال والحساب والعذاب ظلماً والثواب ميلاً ، فنحن نشهد أنهم كذبة وشهود زور ونزلهك عما لايليق بك فنقول سبحانهك عما وصفوك به وتعاليت عما نسبوك اليه ، ونشهد أنك العدل في ما فعلت وفطرت ، الحكيم في ما قضيت وقدرت ، الرحيم فلا عنت في ما أمرت ونهيت ، العليم فلا جور في ما قدمت وأخرت، الصادق في ما أنبأت وأخبرت، خلقت الخلق برحمتك وكلفتهم برأفتك لينالوا جنتك، وأعطيت الالة وأزحت العلة ومكنت باعطاء القدرة وبعثت الرسل وأنزلت الكتب كل ذلك تعريضاً لما أعددت لهم من ثوابك وتحذيراً من عقابك ، ولم ترد منهم الا ما أمرت ولا كرهت الا ما نهيت ولا قضيت الا ما قدرت ولا قدرت الا ما أظهرت، فتركوا أمرك واتبعوا شهواتهم وارتكبوا ما نهيت إشاراً لشهواتهم ولذاتهم وطغوا في بلادك وظلموا عبادك ،فسنهم من كفر ومنهم من تحير ومنهم من ترك العبودية ومنهم من ادعى الربوبية، وفي كل ذلك أتوا من قبلهم وأنت من ذلك [بريء] حتى استوجبوا عذابك واستحقوا عقابك ، ثم أمهلتم للتوبة وأعذرت

اليهم الانابة ففي كل ذلك الحجة لك عليهم لاحجة لهم عليك وما أنت بظلام للعبيد ، بهذا كنا نشهد في الاولى كما شهدنا في العقبى ، فانظروا أينما خصماء الرحمن ، وقد قال الله « وَ لَا تَكُنْ لِّلْخَائِنِينَ خَصِيْمًا »^(١) و « لَا تَجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ »^(٢) .

وقال معتزلي لمجبر : أليس الله يقول : « وَ شَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ »^(٣) فإقراره أولى بنفسه أم شهادتكم له ؟ فانقطع .

وقال عدلي لمجبر : أليس الله يقول : « وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ »^(٤) ؟ فقال : دعنا عن هذا ، أَرْضَاهُ وَأَحْبَهُ وَأَرَادَهُ وَخَلَقَهُ وَمَا أَفْسَدَنَا غَيْرُهُ ! فقال : كفرت حيث رددت آية من كتاب الله .

وقال تلميذ لسلام القاري^(٥) : مررت الليلة بآية من القرآن في قصة يوسف توهمني أنه كان قدرياً ! قال : وما ذلك ؟ قال : قوله تعالى « نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي »^(٦) . فقال سلام : فأنا مررت بآية في قصة موسى توهمني ذلك . قيل : وما هي ؟ قال : قوله « هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ »^(٧) . فقال آخر : رأيت أعجب من هذا ، قوله « لَا أَمْلِكُ الْإِنْفُسِي وَأَخِي »^(٨) ، فلم يرض أن يقول « أملك نفسي » حتى قال « وأملك غيري » . فقام معتزلي وقال : أما رضيتم بمذهب موسى ويوسف تردون عليهما ؟ فسكتوا .

١. سورة النساء (٤) : ١٠٥ .

٢. نفس السورة : ١٠٧ .

٣. سورة الانعام (٦) : ١٣٠ .

٤. سورة الزمر (٣٩) : ٧ .

٥. مضى ذكره . والقصة منقولة في الصراط المستقيم ٣ : ٦٦ .

٦. سورة يوسف (١٢) : ١٠٠ .

٧. سورة القصص (٢٨) : ١٥ .

٨. سورة المائدة (٥) : ٢٥ .

الباب الخامس

فى خلق الافعال

فكرت وقلت لاشىء أقوى فى هذا الباب من نفي الافعال عن العباد واضافتها الى الله ، فألقيت اليهم بأن جميع ما يظهر على العباد من خير وشر وايمان وكفر وقبيح وحسن وطاعة ومعصية فهو خلقه تعالى لاتأثير للعبد فيه ، وانما ينسب اليه كما تنسب الحركة الى الاشجار والجري الى الانهار والنضج الى الثمار ، فكذلك نسبة الكفر الى الكفار والطاعة الى الابرار . فقبلتم مني أحسن قبول ودنتم به وناظرتم عليه .

وأنكرت المعتزلة ذلك ، وقالوا هذا يبطل الامر والنهي والوعد والوعيد والحساب والثواب والكتب والارسال والجزاء والسؤال .

فأما شيخنا جهم^(١) فقام على رأس الامر ، ولم يلتفت الى كلامهم ولاتفكر في ما أوردوه من حججهم ، وقال : من يبالى بسبالكم ومن يلتفت الى أقوالكم ؟ وأما سائر الشيوخ فتركوا الطريق وناظروهم حتى انقطعوا وافنضحوا . فألقيت اليهم حيلة ومكيدة بأنه خلق الله كسب للعبد ، ففرحوا به وأوردوا

١. هو أبو محرز جهم بن صفوان السمرقندى، رأس الجهمية . كان يقضى فى عسكر الحارث بن سريج الخارج على أمراء خراسان فقبض عليه نصر بن سيار وقتله فى سنة ١٢٨ .

عليهم. فقالت المعتزلة: هذا تلبيس وتدليس، اذا كان الفعل بجميع صفاته أحدثه هو فأى تأثير للعبد وأى معنى للكسب؟ وقالوا: ان ثبت ذلك فى ما اشتركوا فى الفعل وجب أن يشتركوا فى الحمد والذم والاسماء المشتقة من الافعال، وكيف أضاف أفعاله اليهم وحظه أكثر وتأثيره أوفر؟ وكيف أوجب الحدود والعقوبات على شىء هو حملهم عليه؟ وقالوا لهم: أيصح أن يحصل الخلق دون الكسب؟ قالوا: لا، قالوا: فيصح أن يحصل الكسب دون الخلق؟ قالوا: [لا]، فقالت المعتزلة: فهذه شركة ظاهرة، خرجتم عن التوحيد وقتلتم ان القدرة المحدثه قدرة الله. فعند ذلك انقطعوا وبهتوا.

اجتمع عدلي ومجبر، قال العدلي: أليس قد بعث الله موسى الى فرعون وقال: «فَذَا نَكَ بَرُهَا نَا ن مِّن رَّبِّكَ اِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ»^(١) وقال: «انَّه طَغَى فَفَعَّرْ لَآلِـْـه قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَمَلِهٖ يَتَذَكَّرُ اَوْ يَخْشَى»^(٢) ووصاه بما وصاه؟ فقال: بلى. قال: قد بعثه الله تعالى ليغير خلق الله أو فعل فرعون؟ فان قلت بالاول فكيف يقدر موسى أن يغير ما خلق الله؟ وأى معنى لقوله «لَعَلَّهٗ يَتَذَكَّرُ اَوْ يَخْشَى» ولم يخلق ذلك فيه؟ وان بعثه ليغير فعل فرعون فذلك مانقول. فانقطع المجبر. وأنشد العدلي يقول:

لقد أسمعت لو ناديت حيًّا ولكن لاحياة لمن أنادي^(٣)

وقال ثمامة^(٤) يوماً للمأمون: أنا أبين لك القدر بحر فين. فقال: زد الضعيف

١. سورة القصص (٢٨) : ٣٢ .

٢. سورة طه (٢٠) : ٤٣ .

٣. البيت لعمر بن معد يكرب، وهو فى ديوانه المطبوع (من جمع هاشم الطعان، بغداد - ١٣٩٠) : ٦٤، وفيه: «لن تنادى» .

٤. هو أبو معن ثمامة بن أشرس النميرى، من كبار المعتزلة، شيخ الجاحظ، مات سنة ٢١٣ .

حرفاً - يعني يحيى بن أكثم - ^(١) . فقال : لا يخلو فعل العبد من ثلاثة أوجه : إما أن يكون فعله فيتوجه الحمد والندم اليه ، أو فعل الله تعالى فلا يتوجه على العبد لوم ولا حمد ولا ذم ، أو كان منهما فوجب أن يكون الحمد والندم لهما . فقال : صدقت !

وقال أبو العتاهية ^(٢) للمأمون : أنا أقطع ثمامة بحرف . فقال : دع فلست من رجاله . قال : بلى ! فلما حضر قال : سله . فحرك يده وقال : من حرك يدي ؟ فقال : من أمه زانية ! فقال : يا أمير المؤمنين ! شت مني . فقال ثمامة : يا أمير المؤمنين ! ترك مذهبه . فضحك المأمون ^(٣) .

وقيل لفضيل بن عياض ^(٤) - وكان عدلياً - : ان فلاناً يشتبك . فقال : لا غيظن من أمره بذلك ويغفره الله له . قيل : ومن أمره بذلك ؟ قال : الشيطان . وقال عدلي لمجبر : أليس الله تعالى يقول : « الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَقِتْلًا » ^(٥) ، فهما من واحد أو من اثنين ؟ فانقطع .

١. هو القاضي يحيى بن أكثم المروزي ، استقضاها المأمون ثم المتوكل ، ومات في سنة ٢٤٢ .

٢. هو اسماعيل بن القاسم بن سويد العيني الكوفي ، الشاعر المكثّر ، توفي ببغداد سنة ٢١١ .

٣. جاءت القصة ملخصة في مثابه القرآن لابن شهر آشوب : ١٢١ والصراط المستقيم ٣ : ٥٩ .

٤. هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي السمرقندي ، المحدث الزاهد ، شيخ الشافعي . توفي بمكة سنة ١٨٧ .

٥. سورة البقرة (٢) : ٢٦٨ .

وكلم انسان عروة بن محمد^(١) بشيء أغضبه ، فخرج وتوضأ ورجع وقال:
حدثني أبي عن جده عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أنه قال :الغضب
من الشيطان ، والشيطان خلق من النار ، وانما يطفئ الماء النار ، فاذا غضب
أحدكم فليتوضأ .

وعن بعض المعتزلة [أنه] قال المجبر : أليس النبي - صلى الله عليه وعلى
آله وسلم - يقول : الاناة من الله والعجلة من الشيطان ؟ فلو كان كلاهما من خلقه
لم يكن للفرق معنى .

وقال آخر لمجبر يناظره :لأدري ما تقول غير أنه تعالى قال : « كَلَّمَا
أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ »^(٢) ،وقد علمنا أن الذي أوقدها غير الذي
أطفأها^(٣) .

وسمع صقر المجبر^(٤) رجلاً يقول :لعن الله القواد يجمع بين الزاني
والزانية .فقال صقر انك : تلعن ربك فانه جمع بينهما . فقال : ما الذي تقول ؟
قال : هو ديني ودين أصحابي .

وقيل لصقر : أليس الله يحمد بترك الظلم فقال : « وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ
لِلْعَبِيدِ »^(٥) ؟ قال نعم . قال :أليس الظلم كله منه ومن خلقه وقضائه؟ قال :نعم .

١. هو عروة بن محمد بن عطية السعدي القيسي ، ولى على اليمن عشرين سنة وعزل
سنة ١٠٣ وتوفي بعد سنة ١٣٠ . والرواية وردت في تهذيب التهذيب ٧ : ١٨٨
ذيل ترجمته .

٢. سورة المائدة (٥) : ٦٤ .

٣. أنظر الصراط المستقيم ٣ : ٥٩ .

٤. ورد ذكره في طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار : ٢٨٧ (من طبعة فؤاد سيد) ،
ويظهر منها أنه كان متكلم المجبرة في البصرة في أواسط المائة الثالثة .

٥. سورة فصلت (٤١) : ٤٦ .

قال : فما الظلم الذي نفاه وتحمد ؟ أشيء يعرف أم لا ؟ فانقطع .

وقال: أبو الهذيل للبطيخي^(١) المجبر - غلام جهم -^(٢) : أتزعم أن الله تعالى يعذب عباده على ما خلقه فيهم ؟ قال : لا ، ولكن أقول انهم في النار يتمتعون كدود الخل في الخل . ثم قال : كيف ثم كيف حيث^(٣) يا أبا الهذيل . قال : نعم ولكن رفعت باب البيعة .

وقيل لابی الهذيل : من جمع بين الزاني والزانية ؟ قال : أما أهل البصرة فيسـمونه قواداً ، وأظن أهل بغداد لا يخالفونهم فيه ! فسكت السائل^(٤) .
وقيل لابی العباس الضرير - وكان عدلياً - : من جمع بين الزاني والزانية ؟ فقال : أبو القواد .

وقيل انّ أبا الاسود الدثلي^(٥) شكى جيرانه بأنهم يرمونه ، فقالوا : ما رميناك ولكن الله رماك إقال : كذبتم ! لورماني الله لما أخطأني وأنتم تخطئون^(٦) .
وتواعد أبو الهذيل وحفص القرد للمناظرة في دار أبي عامر الانصاري

١. ورد ذكره في المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار : ١١٧ ، الا أنه في المطبوع منه : البطخي .

٢. يعني جهم بن صفوان الماضي ذكره .

٣. كذا في الاصل ، ويحتمل أن تكون كلمة « حيث » محرفة عن « تجيب » أو قد سقط شيء هنا .

٤. القصة في أمالي المرتضى ١ : ١٨٠ . ونقلها ابن شهر آشوب في مشابه القرآن : ١٢١ واليباضي في الصراط المستقيم ٣ : ٥٩ .

٥ . هو ظالم بن عمرو بن سفيان الكنانى ، المتوفى ٦٩ . واضع علم النحو ووالى البصرة في خلافة أمير المؤمنين .

٦ . أنظر القصة وما قال أبو الاسود فيها من الشعر في ديوانه : ٨٩ - ٩٠ (بيروت - ١٤٠٢) .

وتراضيا بالنظام^(١) ، فقال أبو الهذيل لحفص : هل شيء غير الله وغير خلقه ؟ قال : لا . قال : فعذب الكافر على أنه خالق ؟ قال : لا . قال : فعذب على أنه خلق ؟ قال : لا . قال : فلم عذب ؟ قال : لانه عصي . قال : بأن عصي خرج الى باب ثالث من خالق ومخلوق ؟ قال : لا . قال : فلم عذب ؟ فجعل حفص يكرر هذا وأبو الهذيل يلزمه ، فقال نظام : الى كم لا ونعم في شيء لاعمى له ؟^(٢) . وقيل لابي يعقوب المجبر : من خلق المعاصي ؟ قال : الله . قال : فمن عذب عليها ؟ قال : الله . قال : فلم عذب عليها ؟ قال : لأدري والله !

وحضر أبو عبد الله الحنفي دار بعض الولاة وقد حضر مجبر فأتي برجل طرّار [أحول] ، فقال الوالي للمجبر : ما ترى فيه ؟ قال : تضربه خمسة عشر سوطاً . فقال للعدي : ما تقول ؟ قال : تضربه ثلاثين سوطاً ، خمسة عشر لحوله وخمسة عشر لطرّه . فقال المجبر : تضربه على حوله ولاصنع له فيه ؟ قال : نعم ، اذا كانا جميعاً من خلق الله فالحول والطرّ سواء . فانقطع المجبر وتحير^(٣) . وقال المأمون لابي علي الثنوي^(٤) : هل ندم مسيء قط ؟ قال : نعم . قال : أندم على شيء فعله هو أو غيره ؟ قال : ندم لانه أساء . قال : فان صاحب الخير

١ . هو ابراهيم بن سيار البصري ، من أئمة المعتزلة . توفي سنة ٢٣١ .

٢ . نقل البياضى هذه القصة والتي بعدها فى الصراط المستقيم ٣ : ٥٩ .

٣ . نقله ابن شهر آشوب فى مشابه القرآن : ١٢١ والبياضى فى الصراط المستقيم

٣ : ٥٩ .

٤ . راجع قصة المأمون معه فى الحيوان للجاحظ ٤ : ٤٤٢ - ٤٤٣ وعيون الاخبار

لابن قتيبة ٥ : ١٥٢ ، وهى فى المصدرين مختلفة عما هنا الا فى السطر الاول ،

وكذا فى مشابه القرآن لابن شهر آشوب : ١٢٢ .

وصاحب الشر سواء واحد . فانتقطع . هذا ، ويلزم المجبرة [أنَّ] النادم يندم على فعله أو فعل خلق الله فيه ، وهم ألزموا الندم على فعل غيرهم [الذي] لا يقدر على تركه ، والعاقل لا يندم على مثل هذا .

وكان قاص من المعتزلة يقص ويقول : أيها الناس ! من حمل الذنب على الله هلك ومن أضافه الى نفسه نجا ، وهذا مذهب النيبين والصحابه والتابعين . ولقد أتى عمر بسارق فقال له : اسم سرقته ؟ قال : قضاء الله وقدره ! فقال : اذهبوا به واضربوه ثلاثين سوطاً واقطعوا يده . فقيل : أما القطع فللسرقه فما بال الضرب ؟ قال لكذبه على الله ^(١) .

١ . نقله ابن شهر آشوب في مشابه القرآن : ١٩٦ .

الباب السادس

فى الاستطاعة

فكرت وقلت: مدار أمر التكليف على القدرة وازاحة العلة ، فألقيت اليهم بأن الكافر لا يقدر على الايمان والمؤمن لا يقدر على الكفر ويستحيل القدرة على الضدين ، وأن القدرة موجبة للفعل وتوجد معه وتعدم معه . فقبلتم مني ووافقتموني كالمنتظر منكم .

وأنكرت المعتزلة ذلك وقالوا بآل القدرة قبل الفعل وهي غير موجبة للفعل ، والقدرة على الضدين . وقالوا: لو كان الامر كما زعمتم لكان يقبح تكليف كما يقبح تكليف الاعمى بالنظر والاخرس بالكلام والزمن بالمشي ، واذا لم يعجز تكليف من لا يعلم فتكليف من لا يقدر أولى أن لا يجوز ، ولانها لو كانت موجبة لكان الفعل لفاعل القدرة . وصنفوا في ذلك تصانيف وأوردوا في ذلك حججاً وألزموا تكليف ما لا يطاق . فمنكم من استحيا من اطلاقه فوقع في حيرة ، فألقيت اليهم القول بالبدل^١

١ . فى الهامش : « أى عند المجبرة يجوز وجود الايمان فى حال الكفر ، على معنى أنه لو لا يكون كان وجد وفعل — أى يجوزون الايمان فى حال وجود الكفر — ، وعند البدل انما يجوز على المعدوم ولا يجوز على الموجود لان بدل الموجود يكون مثلاً له لا بدلاً » .

تليسياً فقبله النجارية^(١) ، والاشتغال بالترك فلزمه الكلابية^(٢) . وقد قال شيخنا ابو الحسن^(٣) : ما هذا الحياء ؟ ولاي معنى هذا الرياء ؟ صرحوا بتكليف ما لا يطاق ودعوا هذا النفاق وان رغم أنوف المعتزلة^(٤) . فقلت شكر الله سعيك ! أرحت واسترحت ! وصرحنا به وحمدناه على ذلك . وقامت المعتزلة بالرد علي وعليكم .

ولقد قرأ قاريء « وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا »^(٥) ، فقال بعض المعتزلة : يامعشر المجبرة ! كيف يكون هذا على مذهبكم وقد منع الناس من الايمان بخصال من المنع ، كل واحد منها يمنع فكيف بمجموعها ؟ قيل له : وما هو ؟ قال : خذوا ، فأحدها أنه خلق الكفر ، وثانيها خلق القدرة الموجبة للكفر ، وثالثها أنه أراد منه الكفر وقضى الكفر وزين الكفر وام يخلق الايمان ولأعطاه قدرة الايمان ولاأراداه ولاقضاه . فقلت لمشايخنا : أجيئوه ! فقالوا: اذا كان المذهب ما قال فما معنى الجواب ؟

١ . هم فرقة من المعتزلة ، أتباع الحسين بن محمد بن عبدالله النجار الرازي المتوفى حوالى ٢٢٠ ، يوافقون المعتزلة فى الصفات وخلق القرآن وفى الرؤية ، ويخالفونهم فى مسألة القضاء والقدر واكتساب العباد وفى الوعد والوعيد .
٢ . هم فرقة من نابتة الحشوية ، أتباع محمد بن عبدالله بن كلاب القطان الماضى ذكره .

٣ . يعنى الاشعري امام المذهب ، الماضى ذكره .
٤ . فى الهامش : « نقول انه تعالى يقدر ويعلم لمعان لا يوصف ، لانه لو وصف المصفة لاحتاجت المصفة الى المصفة وهلم جرأ يؤدي الى ما لايتهاهى ، والاستطاعة مع الفعل » .

٥ . سورة الاسراء (١٧) : ٩٤ .

وأنشد معتزلي لابن عباد^(١) في ذم أصحابنا أشعاراً كثيرة ، منها :

يقول لنا بعض جيراننا أريد المنارة في المبر
فقلت له يا فتى لا تطيق فأعرض كالمبغض المنكر
فقال وتكليف ما لا يطاق يجوز على مذهب الأشعري

وحضريوماً المعتزلة والمجبرة ، فقال معتزلي : ليس في الدنيا أسوء ثناء على
الانبياء من المجبرة ولا أحسن ثناء على الشيطان منهم . قيل : ولم ؟ قال : يزعمون
أن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ماترك معصية قط قدر عليها ولا أتى طاعة
قدر على تركها ولو قدر على المعاصي لكان أعصى خلق الله ، وزعموا أن الشيطان
لم يترك طاعة قدر عليها ولا أتى معصية قدر على تركها ولو قدر لكان أطوع
خلق الله ، فهذا ثناؤهم على الانبياء وعلى الشيطان .

وناظر معتزلي مجبراً فقال : الاستطاعة قبل الفعل . قيل : ولم ؟ قال : لقوله
« سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا أَنَخْرُجَنَّا مَعَكُم » ، ثم قال : « وَاللَّهِ
يَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَكَافِرُونَ »^(٢) فكذبهم في قولهم ، فلا يخلوا اما أن كانوا مستطيعين
فلم يخرجوا أو لو أعطوا [الاستطاعة] لم يخرجوا ، وأي ذلك فالحجة قائمة .
فانقطع . ثم قال : صدق ذلك الرجل ! لو استطاع لخرج ولكن لم يعط القدرة .
فقال المعتزلي : فما بال التكذيب ؟ قال : لأدري . قال : هذا كفر وردّ لكتاب
الله تعالى^(٣) .

١ . معنى صاحب بن عباد . والشعر لم يرد في ديوانه المطبوع (بتحقيق محمد حسن

آل ياسين ، بغداد - ١٣٨٤) .

٢ . سورة التوبة (٩) : ٤٢ .

٣ . نقل البياضى هذه القصة وأكثر ما يليها الى حكاية الهرة والقارة في كتابه الصراط

المستقيم ٣ : ٧٠ - ٧١ ملخصة .

وقال عدائي لمجبر : ما تقول في من لا يقدر على القيام ، أيجوز له أن يصلي قاعداً ؟ قال : نعم . قال : تقول في القاعد [انه] يقدر على القيام ؟ قال : لا . قال : أفيجوز له أن يصلي قاعداً ؟ قال : لا . فقال : ناقضت .

ومر الواثق^(١) ببيحيى بن كامل^(٢) فقال : ألسنت الامام ؟ قال : بلى . قال : اذا مررت برجل في وقت الصلاة ما الذي يجب علي ؟ [قال :] تقول له قم فصل . [قول :] فان قال لا أقدر عليه لاني مقعداً أصدقه ؟ قال : نعم . قال : أو أعذره يصلي قاعداً ؟ قال : نعم . قال : فان قال لا أقدر على القيام لاني متشاغل بالقعود وليس في قدرتي القيام أصدقه ؟ قال : نعم . قال : أفأعذره أن يصلي قاعداً ؟ قال : لا . قال : اذا كانا صادقين فلم عذرت أحدهما ولم تعذر الآخر ؟ فانقطع .
ونال له الواثق : ما التوبة ؟ قال : الندم على مافات والعزم على أن لا يعود .
قال : أفيقدر عليهما ؟ قال : لا . قال : فاذا كان لا يقدر عليهما فما معنى التوبة ؟ فانقطع .

وزعم الكلبي^(٣) أنه لما نزل قول الله تعالى « اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ »^(٤) اشتد ذلك على المسلمين فنسخ ذلك بقوله « فَاتَّهِوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ »^(٥) . فقال بعض من حضر : هذا يكسر قولنا في الاستطاعة . قال : كسره الله إسبحان

١ . هو هارون بن محمد المعتصم ، تاسع الخلفاء العباسيين ، ولي الخلافة بعد وفاة

أبيه (سنة ٢٢٧) وتوفي بسامراء في سنة ٢٣٢ .

٢ . هو أبو علي يحيى بن كامل بن طليحة الخدرى ، من المتكلمين ، كان من المرجئة ثم انتقل الى مذهب الاباضية ، ومات حوالى سنة ٢٤٠ .

٣ . هو ابو النضر محمد بن السائب الكلبي الكوفى ، المتوفى سنة ١٤٦ ، النسابة الراوية ، العالم بالتفسير والخبار وأيام العرب . صنف كتاباً في تفسير القرآن .

٤ . سورة آل عمران (٣) : ١٠٢ .

٥ . سورة التغابن (٦٤) : ١٦ .

من يسر ولم يعسر ، وكيف يعسر من قال : « وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ »^(١) .

وقرأ قاريء «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا»^(٢) ، فقال بعض المجبرة من شيوختنا : بثبت الآية هذه الآية ! ، فأنكروا عليه ، فقال : لأنها تنقض قولنا في الاستطاعة .

وقيل لصغر المجبر : أكان فرعون يقدر على الإيمان ؟ قال : لا . قال : فعلم موسى أنه لا يقدر على الإيمان ؟ قال : نعم . قال : فلم بعثه الله إليه ؟ قال : سخرية ! وحضر من شيوختنا أبو هاشم مجلساً وبعض المعتزلة يقول : المجبرة خصماء الرحمن وشهود الشيطان . فقام أبو هاشم وقال : إذا كان يوم القيامة نودي أين شهود إبليس ؟ قمت وشهدت له أن الله منعه من السجود .

واجتمع النظام والنجار للمناظرة ، فقال النجار : لم تدفع أن الله كلف عباده ما لا يطيق ؟ فسكت النظام . فقيل له : لم سكت ؟ قال : كنت أريد بمناظرته أن ألزمه القول بتكليف ما لا يطاق ، فإذا التزم ولم يستحي فما الذي ألزمه بعد ذلك .

وسأل معتزلي مجبراً فقال : أليس الكافر ممنوعاً من الإيمان ؟ قال : بلى . قال : فهل يكون قوله « لأقدر عليه » حجة ؟ قال : نعم . قال : فما معنى قوله « لَيْسَ لَكَ أَنْ تَكُونَ إِلَهًا نَأْسٍ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بِمَعْدِ الرَّسُولِ »^(٣) ؟ فأنقطع . وقام المعتزلي وأنشد :

ليس خلق الله حجة فالزم القصد ان عرفت المحجة

١ . سورة الحج (٢٢) : ٨٧ .

٢ . سورة البقرة (٢) : ٢٨٦ .

٣ . سورة النساء (٤) : ١٦٥ .

ومر أبو الهذيل راكباً على الحسين النجار وهو قاعد على باب دار المهالبة، فقال : انزل حتى أسألك . قال : أتقدر أن تسألني ؟ قال : لا . قال : أفأقدر أن أجيبك ؟ قال : لا . قال : فيم أعني نفسي ؟ ^(١)

وقال أبو الهذيل للنجار : خبرني عن رجل في الشمس أمره تعالى أن ينتقل إلى الظل ، متى تحصل له استطاعة الانتقال ؟ قال : مع النقلة . قال : فأعطني استطاعة النقلة وهو في الشمس أو أعطني وهو في الظل ؟ فان قلت بالاول تركت مذهبك وان قلت بالثاني فقد انتقل بغير استطاعة . فانقطع . ثم قال : وخبرني عن موسى - عليه السلام - أمر بالقاء عصا أعطي قدرة الاعطاء وهي في كفه أو بعد ما ألقى ؟ فان قلت بالاول فالاستطاعة قبل الفعل ، وان قلت بالثاني فقد ألقى بغير استطاعة . فقال : مع القائها . قال : هي في كفه أو خارجة من كفه فلا فاصل بينهما فانقطع .

وسأل مجبر أبا الهذيل : هل تقدر على أن تفعل شيئاً ؟ قال : نعم ، أقدر على أشياء أقدرني الله تعالى عليها باستطاعة ركبها في . قال : خذ تلك الصعوبة من رأس ذلك الحادث . قال : ذلك من استطاعة المباشق ! ^(٢)

وسأل عدلي مجبراً فقال : ما تقول أكان فرعون قادراً على الايمان ؟ قال : لا . قال : فعلم موسى أنه لا يقدر عليه ؟ قال : نعم . قال : فلو قال فرعون لموسى أقدر على الايمان الذي تدعوني اليه ما كان يقول موسى له ؟ قال : كان يقول لا تقدر . قال : فلو قال لماذا جئتني وأنا لا أقدر على ما تدعوني اليه ، أيش كان يجيب ؟ قال : كان يقول لأدري . قال : ولو قال فرعون اذهب فاعلم ثم ارجع فاني اذا قدرت آمنت - جئت أو لم تجيء - أيش كان يقول ؟ فانقطع المجبر .

١ . انظر الطرائف لابن طاوس : ٣٣١ .

٢ . نسبه ابن شهر آشوب الى النظام في كتابه متشابه القرآن : ١٢٠ .

وعن عبدان^(١) رأيت أبا رملة المجبر يدخل على أبي شعيب^(٢) فدخات معه ، فسأله حاجة ، فقلت : أيقدر أبو شعيب أن يقضي حاجتك ؟ قال : لا . قلت : فلم تسأله ما لا يقدر وتغضب ان لم يفعل ؟

وكان عبدان هذا ظريفاً مليح المسائل . قال له ابن بالويه المجبر^(٣) : مادليلك على أن الاستطاعة قبل الفعل ؟ قال : الهرة والفارة ! فغضب ابن بالويه وقال : تهزأ بي ؟ قال عبدان : ما قلت لك الا الحق ، لولا أن الفارة تعلم أن السنور يقدر على أخذها لما هربت ! فانقطع .

وقال عبدان : صبحني رجل من المجبرة الى باب داره ، فقلت : أيقدر باب دارك وهو على هذه الهيئة أن يأخذ بشيabi ؟ قال : لا . فقلت : فلو أعطاه الله القدرة يستطيع أن يأخذ بشيabi ؟ قال : نعم . قلت : أتقدر أنت وأنت على هذه الهيئة أن تأخذ بشيabi ؟ قال : لا . قلت : فلو أعطاك الله القدرة على أخذها أخذتها ؟ قال : نعم . قلت : فما الفرق بينك وبين هذا الباب ؟ فسكت .

وناظر عدلي مجبراً فقال : ما تقول لو قدرت على قتل الانبياء والائمة - وهتك المحارم واحراق المصاحف وتخريب الكعبة ونبش قبر النبي وهدم المسجد ، أتفعل ولاندد شيئاً من ذلك خوفاً من الله تعالى ولا حرمة لامره ولا خشية من عقابه ولا رجاءاً لثوابه ؟ قال : نعم . قال : فمن كان هذا اعتقاده كفى به خزيماً ! فافتضح .

١ . لعله عبدان الخسروجردي ، أبو بكر عبد الملك بن عبدالحليم البيهقي ، المتوفى

٢٩٢ . روى عن يحيى بن يحيى المنقري النيسابوري (تاريخ بيهق : ١٤٢) .

٢ . لعله محمد بن شعيب البيهقي ، مفتي الشافعية بنيسابور . كان مكرماً عند الامراء

وحظي بالمال والرياسة . توفي سنة ٣٢٤ (تاريخ بيهق : ١٥٨) .

٣ . هو أبو العباس بالويه بن محمد بن بالويه البيهقي المزيناني ، تلميذ محمد بن

اسحاق بن خزيمة النيسابوري (المجبر ، المتوفى سنة ٣١١ ، الماضي ذكره)

والمترجم له في تاريخ بيهق : ١٦٠ .

وكان لمجبر غريم عدلي فقال : أعطني حقي . فقال : لا أقدر على أن أعطيك
 حَقَّك ! فقال المجبر : أنا الآن أقول بقولك ، نعم تقدر أن تعطيني . فقال : ما
 تصنع بمذهب لا يمكنك معه أن تقاضي غريمك ؟ دعه واسترح !
 وسأل رجل سلام القاري أبا المنذر^(١) فقال : ما تقول في رجل قائم في الماء
 حلف بطلاق امرأته أنه لا يقدر أن يتوضأ للصلاة ؟ فقال له : يا قدرى الخبيث !
 فقيل له : ان هذا قرشي . فقال : يا بن أخي ! طلقت امرأته . فقال : تركت
 مذهبك .

وذكر أبو موسى المردار^(٢) فقال : اجعل كلام المجبرة القدرية حجة عليهم
 في كل شيء ، اذا قال [أحدهم] افعل كذا فقل هل أقدر عليه ؟ فان قال نعم ترك
 مذهبه ، وان قال لا فقل فلم تأمرني بما لا أقدر عليه ؟

وقال عدلي لمجبر : أليس الله تعالى يقول : « وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
 أَعْمَالَهُمْ »^(٣) ؟ فالتفت الى قوم عنده وقال : أنظروا الى هذا يزعم أن الشيطان
 يقدر أن يعمل شيئاً . فقال : يا أحمق ! هذا نص الكتاب لا [ما] أقول . فانقطع .
 وسأل عدلي مجبراً عن قوله تعالى « وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا »^(٤)
 ما منعه على قولك ؟ قال : هذا لا معنى له ، اذا كان هو المانع فما معنى السؤال ؟
 قال السائل : أيمنعهم ثم يسألهم ؟ قال : نعم قضى على عباده بالسر ما منعه الله

١ . مضى ذكره . والقصة منقولة في الصراط المستقيم ٣ : ٦٩ ملخصة ، إلا أن في
 المطبوع منه « سلام الفارسي » بدل « القاري » خطأ .

٢ . هو عيسى بن صبيح المردار ، من كبار المعتزلة ، وهو الذي أظهر الاعتزال
 ببغداد . توفي سنة ٢٢٦ .

٣ . سورة النمل (٢٧) : ٢٤ .

٤ . سورة الاسراء (١٧) : ٩٤ .

فى العلانية وأوعدهم عليه . فقال السائل : أ يكون هذا فعل حكيم ؟ ثم قال : فما معنى قوله تعالى «وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوِ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»^(١) وان كان هو منهم ؟ قال : استهزأ بهم ! ثم قال : فما معنى قوله « مَا يَقَعْلُ اللَّهُ بِعِتْدَائِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ »^(٢) ؟ قال : قد فعل ذلك بهم وعذبهم من غير ذنب جنوه ، بل ابتدأ هم بالكفر ثم عذبهم عليه ، وليس للاية معنى . فقال : هذا رد كتاب الله تعالى . فقال : أيش أصنع اذا كان هذا هو المذهب ؟

وكان بالبصرة نصراني فكتب كتاباً ذكر فيه الشهود المسلمون أن فلاناً النصراني لا يقدر على الايمان ، وأن الله خلق فيه النصرانية وقضاه عليه وقدره وأرادته واختاره له ، وأنه منعه من الايمان ، وأنه أتى في ما أتى من قبله تعالى . وكان يأتي المجبرة ويأخذ خطوطهم ويقول اكتبوا شهادتكم تشهدون لي يوم القيامة ، وكانوا يكتبون . والمعتزلة يسخرون منهم ويقولون : هؤلاء شهود الشيطان ، فيسكتون^(٣) .

وسأل عدلي مجبراً عن قوله تعالى «وَأَمَّا تَتْمَوُدُ فَهَدَيْنَا هُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَالَى الْهُدَىٰ»^(٤) ، فقال : ليس من هذا شيء بل أضلهم وخلق فيهم العمى . قال : فما معنى الاية ؟ قال : مخراف مخرف به ! فقال : كفرت ! فسكت .

وسأل آخر عن ذلك فقال : معناه هدينا المؤمنين فاستحب الكافرون العمى . فقال : ما أجهلك وأشد مكابرتك ! هل قال أحد ضربت زيدا فبكى عمرو ؟ ثم

١ . سورة النساء (٤) : ٣٩ .

٢ . نفس السورة : ١٤٧ .

٣ . نقل اليباضى هذه القصة عن مؤلفنا الحاكم فى كتابه الصراط المستقيم ١ : ٣٨

— ٣٩ و ٣ : ٦٣ . وانظر الطرائف لابن طاوس : ٣٣٢ .

٤ . سورة فصلت (٤١) : ١٧ .

هل الاستحباب فعله أو مخلوق فيه ؟ فانقطع .

وسأل عدلي مجبراً فقال : هل كان النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -
يقدر أن يهدي أحداً ؟ قال : لا . قال : فما معنى قوله « وَأَنْتَكَ لَتَهْدِيَ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » ^(١) ؟ .

١ . سورة الشورى (٤٢) : ٥٢ .

الباب السابع

فى الارادة والكراهة

فكرت وقلت من أصول هذا الباب مسألة الارادة ، فألقيت الى الناس أنه تعالى مرید بذاته أو بارادة قديمة وأنه يريد جميع المعاصي والكفران ويكره من الكفار ايجاد الايمان ، وأنه أراد قتل الانبياء والمؤمنين وأراد عبادة الاوثان وسب رب العالمين . فقبلتم ذلك مني ووافقتموني عليه وناضلتم عنه .

وأنكرت المعتزلة ذلك أشد انكار ، وقالوا : هذا يخالف الدين ، وتلوا « وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ »^(١) وقالوا : ارادة القبيح قبيحة والحكيم لا يخلق سب نفسه ولا قتل أنبيائه ، وكيف يأمر بشيء ثم يكرهه ؟ وكيف ينهى عن شيء ثم يريد ؟ قالوا : وقد فعل تعالى غاية ما يدل على أنه تعالى لا يريد المعاصي من النهي والزجر والايعاد بالعقاب واقامة الحدود وايجاب اللعن .

حضر جماعة من المعتزلة مع المجبرة ، فقال معتزلي لمجبر : وما الذى أراد الله من فرعون ؟ قال : الكفر . قال : وما الذى أراد ابلis ؟ قال : الكفر . قال : وما الذى أراد فرعون ؟ قال : الكفر . قال : وما الذى أراد موسى ؟ قال : الايمان . قال : فإذا هو المخالف لله وابلis موافق . فانقطع .

وحضرني جماعة منهم يوماً وجرت هذه المسألة ، فقالت بعض المعتزلة :

١ . سورة غافر (٤٠) : ٣١ .

لعن الله الشيطان وجنده حيث خالف الرحمن وحزبه . فقال بعض المجبرة : لم تلعن هذا الشيخ وقد وافق الله في الارادة ؟ فقال المعتزلي : كذبت ! بل خالف الله ووافقكم وأنتم حزب الشيطان ونحن حزب الله ، « ألا انَّ حزبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ^(١) .

وسأل أبو عثمان الجاحظ ^(٢) أبا عبد الله الجدلي : هل أمر الله المشركين بالإيمان ؟ قال : اي والله ! [قال : فهل أراده منه ؟ قال : لا والله . قال : أفيُعذبه عليه ؟ قال : اي والله] ^(٣) قال : فهذا حسن ؟ قال : لا والله !

وسأل عدلي مجبراً : ما تقول ، ارادة الله أحسن وأفضل للعباد أم ارادة رسوله ؟ قال : بل ارادة الله احسن . قال : أليس عندك أنه أراد الكفر وقتل الانبياء والمعاصي والزنا والسرقة وعبادة الاوثان ، وأراد النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - الإيمان والطاعة وترك المعاصي ؟ فقد زعمت أن الكفر أحسن وأفضل من الإيمان . فقال : أقول ارادة الرسول . فقال : زعمت أن ارادة العباد واختيارهم خير وأفضل من ارادة أرحم الراحمين . فانقطع .

وسأل عدلي مجبراً فقال : ما تقول ، ارادة ابليس للعباد خير أو شر ؟ فقال : شر لانه أراد أن يضلوا ويكفروا . فقال : أو يستحق بذلك اللعنة ؟ قال : نعم . قال : أليس عندك أنه تعالى أراد ذلك ؟ فوجب أن يكون ارادته أيضاً شراً . فانقطع .

وسأل عدلي مجبراً فقال : ما تقول في رجل زعم أن جميع ما كان في أيام

١ . سورة المجادلة (٥٨) : ٢٢ .

٢ . هو عمرو بن بحر الكنانى البصرى ، كبير أئمة الادب ومن رؤساء المعتزلة . مات سنة ٢٥٥ .

٣ . التكميل من الصراط المستقيم ٣ : ٦٧ .

النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - من الكفر والفجور وعبادة الاصنام والوثن والفتن كان منه أو بفعله وإرادته ، ما تقول فيه ؟ قال : أقول انه زنديق كافر يستحق القتل لسوء ثنائه على رسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - . قال : فلو قال ذلك فى أبي بكر وعمر أو فى واحد من الصحابة ؟ قال : أقول يقتل ويرجم لظلمته فى الصحابة . قال : أليس عندك أن جميع ذلك من الله وخلقه وإرادته ؟ أليس هذا سوء ثناء عليه ؟ أنتحب تنزيه النبي والصحابة ولا تحب تنزيه رب العالمين ؟ فانقطع ^(١) .

وسأل عدلي مجبراً فقال : جرى اليوم بين الرجلين حديث أريد أن أعلم حقيقة : قال : هات ! قال : جرى ذكر الكفر والمعاصي وترك إبليس السجود لادم ، فقال واحد كان جميعه من الله وإرادته وخلقه ، وقال الآخر بل كان ذلك من إبليس والله منه بريء ، فأيهما أحق ؟ قال : الحق ما قال الاول وصدق فيه ، ان جميع الكفر والمعاصي والضلال من قبله تعالى والشیطان منه برىء ، وكذب الثاني حيث أضافه الى الشيطان . قال : بل كذبت ! تنزه الشيطان ولا تنزه الرحمن ؟ فانقطع .

وكان مجبر يقص وكان فى قصصه : كان النبي يحب إيمان أبي طالب ويكره إيمان وحشي ^(٢) ، فقتله حمزة ، فنزل جبريل وقال : يقول الله ما تحب وتريد لا يكون وما تكرهه يكون ، يؤمن وحشي ولا يؤمن أبو طالب . قال : وفيه نزل : « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ » ^(٣) ، وفي وحشي : « قُلْ يَا عِبَادِىَ

١ . نقل بتلخيص فى الصراط المستقيم ٣ : ٦٧ - ٦٨ .

٢ . هو وحشى بن حرب الحبشى ، قاتل سيدنا حمزة عم رسول الله . مات فى خلافة عثمان .

٣ . سورة القصص (٢٨) : ٥٦ .

الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۖ^(١) . فقال عدلي :
الى متى تكذب على الله ورسوله وكتابه وتضعه غير موضعه ؟ كأن " هذا نزل برغم
النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - . فصفعوه وأخرجوه .

وجاء نصراني الى رجل معتزلي وقال : اريد أن أسلم على يدك فقد عرفت
الحق . قال : وكيف ذلك ؟ قال : اختلفت الى رجل أداوي عينه فقال لي يوماً :
قد وجب علي حقك وأريد أن انصحك ، قلت : ما ذاك ؟ قال : أسلم ، قلت :
تريد نصيحتي واسلامي ؟ قال : نعم ، قلت : فالله يريد نصيحتي واسلامي ؟
قال : لا ، قلت : فأيهما أحق ، أن أعبد وأشكر من يريد نصيحتي واسلامي أو من
لم يرده ، فانقطع^(٢) ، فقلت ان القوم ليسوا على شيء ...^(٣) وأسلم وحسن اسلامه .
فقال العدلي : صدق فان في زعم المجبرة أنه تعالى يريد فساد الخلق وأن
يعذبهم وخلقهم للكفر ، فمن أراد صلاحهم فهو المنعم الذي يجب شكره . ومن
كان هذا بناء مذهبه كفى به خزيًا .

١ . سورة الزمر (٣٩) : ٥٣ .

٢ . نقل في الصراط المستقيم ٣ : ٦٨ .

٣ . يجب أن يكون هنا سقط في الاصل .

الباب الثامن

الكلام فى القرآن

فكرت وقلت : مدار أمورهم على القرآن ، عليه يعتمدون والى آياته يرجعون ومنه يأخذون ويتلون « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ^(١) » ، ويروون عنه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : عليكم بالقرآن فان فيه خير ما قبلكم ونبا ما بعدكم وحكم ما آتيتكم ، وعلمت أنى لودعوتهم الى رفض الكتاب أصلاً ماتمشى لى أمر ، فطلبت للكلام مجالا وأتيتهم حالا فحالا ، أستدرجهم من حيث لا يعلمون .

فألقيت اليهم أولاً أن ما فى المصحف ليس بقرآن ولا كلام الله ، وأن المكتوب والمسموع من القارئ والمتلو فى المحارب والمفصل من الايات والسور ليس بقرآن ، وانما القرآن صفة قائمة بذات البارى لا يقرأ ولا يسمع ، تنفيراً عما فى المصحف . فأما أنتم معاشر اخواني فقبلتم ذلك وجعلتم ذلك عمدة وأوصى به السلف الخلف ، ورددتم على المعتزلة حيث خالفوكم وخالفوني وقالوا : كلام الله سور وآيات والقرآن مسموع ومتلو ومكتوب ومحفوظ ، وأنه تعالى كلم موسى فى وقته وكلم محمداً فى حينه ، وكيف يقول : يا موسى « ألقِ عصاك » ^(٢) وبعد لم يخلق موسى ولا العصا ؟ وكيف يقول : « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ

١. سورة آل عمران (٣) ١٠٣ .

٢. سورة الاعراف (٧) ١١٧ وسورة النمل (٢٧) ١٠ وسورة القصص (٢٨) ٣١ .

فَمَتَّانِدِرِ»^(١) وبعد لم يخلق أحداً؟، وقالوا : كلام الله هو هذه السور والايات وهو القرآن وكذلك قال الله تعالى : « اِنَّا اُنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا »^(٢) وقال : « ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ »^(٣)، وما فلتتم فيه وما جئتم به من صفة الكلام فهو غير معقول . وكثر الكلام بينكم وبينهم حتى ظهر الحق ، وعلمت أن هذا الباب لا يتمشى في المعتزلة .

ففكرت وألقيت اليهم ان هذا الكتاب جمع عثمان - والغرض التشكيك في القرآن - وأن فيه زيادة ونقصاناً ، وأن بعضه ضاع كما أن بعضه شاع . فقبلتم ودونتم ورويتهم أن داجناً أكل بعضه وأن بعضهم غيّر بعضه . وقالت المعتزلة : هذا شر من الاول ففيه هدم الدين ، وكيف يضيع ماضن حفظه رب العالمين فقال « اِنَّا نَحْنُ نُنَزِّلُ الذِّكْرَ وَاِنَّا لَآلِهَ لَحَافِظُونَ »^(٤) ؟ وان هذا القرآن أنزل على رسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - كما هو الان ، نزلت الايات والسور وبيّن المواضع والمبادئ والمقاطع ، وكان كثير من الصحابة يحفظونه كله كأمر المؤمنين - عليه السلام - وابن عباس وأبي بن كعب وعثمان وأبي هريرة وعمر بن الخطاب وغيرهم ، ولما كان يوم مسيلمة الكذاب وقتل حفاظ الكتاب أمر الصديق بكتابة القرآن في المصاحف ثم جمعه عثمان على مصحف هو التام كما كان في أيام رسول الله ، ورووا أن ألباً قرأ القرآن كله على رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وأن علياً قرأه على رسول الله كما هو .

١ . سورة المدثر (٧٤) : ١ .

٢ . سورة يوسف (١٢) : ٢ .

٣ . سورة ق (٥٠) : ١ .

٤ . سورة الحجر (١٥) : ٩ .

فصل

حضرت مجلساً حضره المعتزلة والمجبرة ، فقال بعض المجبرة : أنزل الله تعالى القرآن بعضه متشابهاً ليضل الناس عن الدين ، ولو أراد هديهم لأنزله محكماً . فقال المعتزلي : كذبت بل أنزل الله كذلك ليدبروا آياته ويعلموا الحق ويميزوا المحكم ويردوا اليه المتشابه ليستحقوا الثواب ، كما وصفهم بأنهم الراسخون في العلم ، وكيف يقال هذا والله تعالى يقول : « تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً »^(١) وقال : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »^(٢) فبهت .

وسئل مجبر : ماتقول ، القرآن مخلوق ؟ قال : لا . قال : لم ؟ قال : لأنه لو كان مخلوقاً لكان ابن عم الخليفة ، لأنهما عربيان مخلوقان . قال : فقل قصيدة امرئ القيس ابن عم الخليفة . فانقطع .

قيل لابي مجالد^(٣) : أنت تقول القرآن مخلوق ؟ قال : لا . فقيل : أنتقول انه خالق ؟ قال : هو شر . قال : فإذا كان لخالق ولا مخلوق فكيف أقول ؟ وقيل لعدلي : ماتقول في القرآن ؟ قال : لأعرف غير شيتين خالق ومخلوق ، فانظروا أيما هو .

ودخل أحمد بن حنبل^(٤) على بعض الولاة تشبه بمصائب ، فقال : ما بالك ؟

١ . سورة النحل (١٦) : ٨٩ .

٢ . سورة الاسراء (١٧) : ٩ .

٣ . كذا في الاصل ، ولعله محرف . وكيف كان فلا يمكن أن يكون هذا أبا مجالد أحمد بن الحسين البغدادي المعتزلي ، الماضي ذكره ، بل كان هو أحد مخالفي المعتزلة كما هو واضح من سياق الكلام .

٤ . هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، إمام المذهب . توفي سنة ٢٤٢ .

قال : وقعت مصيبة عظيمة ! قال : وما هو ؟ قال : مات القرآن ! قال : كيف وكيف ؟ قال : اذا كان مخلوقاً جاز أن يموت . قال : ليس هو حياً حتى يموت ، انما هو كلام . فانقطع .

وقيل لمجبر : القرآن معجز ؟ قال : نعم . قال : فمن شرط المعجز أن يكون عقيب الدعوى ويختص بالمدعي ، والقديم لا يختص . فسكت .

وسأل عدلي مجبراً : هل يقدر الله أن يكلم أحداً ؟ فقال : لا ، لان الكلام ليس بمقدور . فقال : هو أضعف من العباد ؟ فقال : نعم ، يقدر . فقال : قد قلت الكلام مقدور . فانقطع .

وحكى بعض مشايخ المجبرة أن ابراهيم الخواص^(١) رأى رجلاً مصروعاً فأذن في أذنه ، فنادى الشيطان في جوفه : دعني أقتله فانه يقول القرآن مخلوق . فقال معتزلي : ان كان الشيطان يقدر على القتل فهلا قتل جماعة المعتزلة ، ولكن الحمد لله حيث لم نوافق الشيطان ووافقتم أنتم . فانقطع .

١ . هو ابراهيم بن أحمد بن اسماعيل السامرائي ، من مشايخ الصوفية . توفي سنة ٢٩١ .

الباب التاسع

في النبوات

لما رأيت أن أساس أمرهم على النبوة وقواعد دينهم على الرسالة فيهم يحتج الله على العباد حيث قال : « رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ » ^(١) وقال : « وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رُسُلًا » ^(٢) ، ووجدتهم أجمعوا على النبوات وعدوه أصلاً وردوا على البراهمة واليهود في انكارها ، علمت أن لامجال للكلام في دفعها أصلاً . فدبرت في هدمها من وجه لا يعلمون وأتيت في ذلك شيئاً فشيئاً من حيث لا يشعرون .

فأول ما ألفت من هذا الباب : أن الرسول لا معنى له والكتاب لا فائدة فيه ، لانه اذا كان الايمان والكفر خلق الله والكافر لا يؤمن اذا لم يخلق فيه الايمان وان ملائ الدنيا بالرسول والكتب ، وان خلق فيه الايمان آمن وان لم يكن ثم رسول ولا كتاب ، فأني فائدة للرسول وأي تعلق له بالاعمال ؟ واذا قيل لئلا يكون للعباد حجة فقواوا أي حجة أعظم من أن يقول : خلقت في الكفر واراوته وأعطيت الاستطاعة الموجبة له ومنعتني من الايمان ولم تخلفه ولم ترده ، فهل ينفع مع

١. سورة النساء (٤) : ١٦٥ .

٢. سورة الاسراء (١٧) : ١٥ .

هذا رسول وتنقطع حجة ؟ . فقامت المعتزلة على انكار هذه المقالة وقابلوني

بالرد ، وقبلتم أنتم ، فشكر الله سعيكم !

ولما أظهرت هذه الفصول في أمر الرسول قام معتزلي وقال : كذبت يا عدو الله على الله وعلى رسله ، بل العبد مخلى كما قال : « وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ »^(١) . قلت لمشايخنا : أجيئوه ! فلم يكن عندهم شيء .

ولما لم يقبلوا مني هذا دبرت فألقيت اليهم أن الانبياء يكذبون ويذنبون ، وأن آدم أكل الشجرة حتى أخرج من الجنة ، وأن ابراهيم كذب ثلاث كذبات ، وأن يونس غضب على ربه فحبس في بطن الحوت بعقوبته ، وأن داود عشق امرأة اوريا فأمر به فقتل فتزوج بامرأته بعد أن كان قال كلني الى نفسي ، وأن سليمان عبد الصنم في بيته وجلس الشيطان على سريره ملكه وباشر نساءه وجواريه في حال الحيض ولم يصل العصر اشتغالا بالخيل ثم عاقبها بضرب الاعناق ، وأن يوسف قعد بين فخذي امرأة العزيز حتى نودي بالنهي عن الذنب ، وأن اخوته القوه في الحب وهم بالغون أنبياء لما آثره أبوه عليهم بالحب ، وأن محمداً مدح الاصنام فقرأ : « تلك الغرائق العلى منها الشفاعة ترتجى » ، وأنه عشق امرأة زيد فحملهما على الافتراق فأمر زيداً بالطلاق ثم تزوج بها وخاف الناس ولم يخف الله . كل ذلك تنفيراً عن المرسلين الذين هم أصل الدين .

فقبلتم ذلك مني وذكرتم ذلك على المنابر ودرستم في المدارس ودونتم ذلك في الكتب ، غير هؤلاء المعتزلة - الذين هم أعدائي وأعداؤكم - أنكروا ذلك كله وقالوا : الانبياء معصومون عن الخطأ والزلل في القول والعمل ، وأن أقوالهم وأفعالهم حجة ، وأنهم شهداء الله على خلقه والقائمون على دينه وهم

١ . سورة الكهف (١٨) : ٢٨ .

المختارون الموصوفون بأنهم المخلصون .

ولما وقعت هذه المسألة وأظهر كل مذهبه لم يصدقوا شيئاً مما روي لنا ولا قبلوا شيئاً مما قلنا ، وذكروا أنه قيل الشيطان ودسيس الملحدين ، وكيف يجوز ذلك عليهم وهم الاخيار الابرار كما قال الله : « وَانْتَهُم عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْاِخْيَارِ » ، فطالبنا المعتزلة بتصحيح مذهبهم ، فذكروا أمراً معقولا وتلوا آيات وفصولا .

قلنا : وما معنى قصة آدم ؟ قالوا : كان نهى تنزيهه لانهي تحريم ، أو ترك الاستدلال فأكل غير ما وقع اليه الاشارة بالمقال . قلنا : فما باله سمى ابنه عبد الحرث حتى وصفا بأنهما جعلاله شركاء ؟ قالوا : كذبت ! لم يكن ذلك من آدم وانما كان قوم من أولاده قالوا ذلك .

قلنا : فما معنى قول ابراهيم : « فَتَنَظَّرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ اِنِّي سَقِيمٌ » ؟ ^(١) قالوا : كان سقيماً . قلنا : قوله « يَسْلُ فَعَلَّاهُ كَبِيرُهُمْ » ؟ ^(٢) قالوا : قال بشرط أن كلموا .

قلنا : فحديث داود ؟ قالوا : كل ما رويتم فكذب وزور .
قلنا : فحديث سليمان ؟ فقالوا : لم ينزل بما قلتم القرآن . قلنا : قوله « وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً » ؟ ^(٣) قالوا : هو جسده يمرض . قلنا : قوله « رُدُّوْهَا عَلَيَّ » ؟ ^(٤) قالوا : ذلك الخيل فمسح سوقها وأعناقها وسبلها .

١. سورة ص (٣٨) : ٤٧ .

٢. سورة الصافات (٣٧) : ٨٩ .

٣. سورة الانبياء (٢١) : ٦٣ .

٤. سورة ص (٣٨) : ٣٤ .

٥. نفس السورة : ٣٣ .

قلنا : فحديث اخوة يوسف ؟ قالوا : كانوا أطفالا واذلك قالوا « نرتع ونلعب »^(١) .

قلنا : فحديث يوسف : « وَهَمَّ بِهَا »^(٢) قالوا : همها للقيح وهمه للدفع ولذلك قال الله تعالى : « كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ »^(٣) .

قلنا : فمحمد حيث قال : « تلك الغرائق العلى » في أثناء كلام رب العالمين ؟ قالوا : لا بل قرأها بعض المنافقين وألقاها في أثناء كلام خاتم النبيين . قلنا : ليس عشق امرأة زيد ؟ قالوا : كلا وحاشا .

فصل

فكرت وقلت : مدار أمر النبوة على المعجز ، فألقيت اليهم أن المعجز يظهر على غير الانبياء بل يظهر على المتنبي والكفار والمغترين ، واذا ذكر فلق البحر لموسى قابلناهم بوقوفه وجريه لامر فرعون ، واذا ذكر المسرى الى بيت المقدس قابلناهم بمسرى كثير من الناس اكثر من ذلك . فقبلتم ذلك عني أحسن قبول واقتديتم بي فيها .

وأنكرت المعتزلة ذلك وكفروا من قال ان البحر وقف لفرعون بأمره أو جرى بذكره ، وقالوا في هذا هدم الدين .

١. مأخوذ من قوله تعالى في سورة يوسف (١٢) : ١٢ حكاية عن اخوة يوسف :

« أرسله معنا غداً يرتع ويلعب . . »

٢. نفس السورة : ٢٤ .

٣. نفس السورة : ٢٤ .

فصل

فمعظم هذا الامر الشرائع، فألقيت بأن الحقيقة غير الشريعة . فقبلتم وصرحتم
به واعتمدتم عليه وقلتم في مجالسكم : الشريعة كذا والحقيقة كذا .
غير هؤلاء المعتزلة فانهم أنكروا ذلك وقالوا : الحقيقة هي الشريعة وكل
ما ليس بشريعة فهو كفر، ورووا : من أدخل في ديننا ما ليس منه فهو رد، وتلوا:
« مَا آتَيْكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » .^(١)

١. سورة الحشر (٥٩) : ٧ .

الباب العاشر

الكلام فى الامامة والامر بالمعروف

تدبرت أبواب الامامة فوجدت لنفسى مجالا وفى ذلك المقام مقالا ، ورأيت أنه بعد النبوة ليس أمر أعظم من الامامة ولا محل أجل من محل الزعامة ، ولم يمكنني دفعها رأساً فوضعت لرفعها أساساً وقلت : بين أهل البيت والصحابه فيها اختلاف ولا يصح الجمع بين موالاتهما ولا بد من البراءة من أحدهما . فوقع هذا الكلام مني كل موقع ، وعند ذلك تفرق الناس : فمنهم من طار قلبه الى أهل البيت وادعوا محبتهم واعتقدوا بغض الصحابة وشتموهم وظلموهم فأتيتهم من هذا الوجه وقلت : بأهل بيت نبيكم تمسكوا ، ومنهم من مال الى الصحابة ودان بغض أهل القرابة ، فكنتم اخواني من هذا القبيل فصوبتم طلحة والزبير في محاربة علي وواليتهم معاوية وان كان حرباً للوصي ، وملتصم الى يزيد وأتباعه وان كان قتل الحسين وأشياعه ، وقتلتم بامامة المروانية مع ما ظهر فيه . وأما الفرقة الثانية فهم الرافضة قالوا : الحق لامير المؤمنين غصبه أبوبكر باتفاق الصحابة ، وانهم كفروا بدفع صاحب الحق عن حقه ووضعوه في غير موضعه . وجاءت المعتزلة وأنكرت القولين وردوا المذهبين ونقضوا ما بنوا وهدموا ما أسسا ، وقالوا : الحق موالات أهل البيت والصحابه وأن لم يكن بينهم خلاف بل كان بين الكل موافقة وائتلاف ، ولذلك زوج علي - عليه السلام - ابنته من عمر وبابكر أبابكر يوم البيعة ورضي في الشورى بعثمان ، ولذلك أمسك عن

وروي في فضل أهل البيت أخباراً وآثاراً ، كقوله تعالى : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ » ^(١) ، وكقوله في مدحهم في هل أتى : [وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا] ^(٢) وكقوله : «تَتَوَتَّنُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّى اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ » ^(٣) وحزب الله هم أهل بيت رسول الله ، وكقوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : علي مني وأنا منه ، وكقوله : أنت مني بمنزلة هرون من موسى ، وكقوله : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، وكقوله : حبك إيمان وبغضك نفاق ، وكقوله : هو أخي ووصيي ، وكقوله : مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى ، وكقوله : اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وكقول عمر : لولا علي لهلك عمر ، وكما روى في حديث : أعداء علي يمرقون من الدين ويفارقون جماعة المسلمين .

١. سورة الشورى (٤٢) : ٢٣ .

٢. سورة الانسان (٧٦) : ٨ .

٣. سورة المائدة (٥) : ٥٥ - ٥٦ .

وَالْأَنْصَارِ ... »^(١) ، و«لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»^(٢) ، و«ثَانِيَنِ اثْنَتَيْنِ إِذْهُمَا فِي الْغَارِ»^(٣) ، وكقوله : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، وكقوله : من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ، وكقوله في ذم الرافضة ما هو أشهر من الشمس بأنهم يسبون الصحابة وأنه منهم بريء .

فلما ذكروا هذه الآيات ورووا هذه الآثار واحتجوا بها ضاق قلبي بهم وقلت حيلتي فيهم ، ولولا هؤلاء لتبعني الناس أجمعون .

ومما ألفت اليهم من هذا الباب أن الطاعة تجب لكل متغلب ولو كان عبداً حبشياً ، وأنه لا يجوز الخروج على أحد وإن كان ظالماً جائراً ، ألتمس بذلك إبطال الإمامة والأمر بالمعروف وترك الخروج على الظلمة ليظهر الفساد ويخفى السداد ويندرس الحق . فقبلتم ذلك عني ورويتم في تأييده الأحاديث وتقربتم إلى أئمة الضلال وإلى الجهال .

وأنكرت المعتزلة ذلك أشد إنكار ، وقالوا الإمامة تجب لكل تقي معصوم لا يظلم ولا يجور ، وإن دفع الظلم والظلمة واجب بحسب الامكان ، وتلوا : «وَأَن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا...»^(٤) وتلوا : «وَأُمِرَ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ»^(٥) ، ورووا في ذلك آثاراً وأبطلوا بذلك ما أصالت وأفسدوا ما صححت .

١. سورة التوبة (٩) : ١٠٠ .

٢. سورة الفتح (٤٨) : ١٨ .

٣. سورة التوبة (٩) : ٤٠ .

٤. سورة الحجرات (٤٩) : ٩ .

٥. سورة لقمان (٣١) : ١٧ .

فصل

فكرت وقلت : لأجد أعظم في هدم الدين أثراً من معاوية ، فانه أول من خرج على أمير المؤمنين - عليه السلام - ثم تبعه السفينانية والمروانية ، فهو المؤسس وهم بنوا وهو مهد الامر وعلى طريقته مشوا . فألقيت اليهم بأنه فعل ما فعل باجتهاد، وأنه ما أصاب ولايجوز لعنه ، وأنه كان اماماً من أئمة المسلمين، وأن لعنه خطأ وأنه خال المؤمنين وكاتب كلام رب العالمين ، وأن أهل بيته كلهم أئمة لايجوز البراءة منهم بل يجب موالاتهم .

وأنكرت المعتزلة ذلك أشد انكار وقالوا : معاوية باغ ضال ، فمرة ضلوه لخروجه على امام المسلمين وقتل عمار بن ياسر^(١) سيد أصحاب أمير المؤمنين، ومرة كفروه بالحق زياد^(٢) بأبيه مع نفي رسول الله عنه اياه وادعاء أبيه وقتل حجر بن عدي^(٣) صبراً وأمره حتى سم الحسن ثم تغلب على الدنيا فأظهر الظلم والعناد ومذاهب الالحاد ، وقال النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : معاوية في تابوت من النار ، وقال : اذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه ، وقد لعنه أمير المؤمنين في قنوته ، وقال - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لعمار : ستقتلك الفئة الباغية فقتله معاوية . ثم جرى على طريقه السفينانية ، فقتل يزيد

١. هو الصحابي الجليل ، الذي استشهد مع أمير المؤمنين بصفيين سنة ٣٧ .

٢. هو زياد بن أبيه ، ولي العراق لمعاوية وبها مات سنة ٥٣ . ولدته سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي واختلفوا في من هو أبوه ، فتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة ، الى أن ادعى معاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفیان فألحقه بنسبه في سنة ٤٤ . والى هذا يشير المؤلف في المتن .

٣. هو حجر بن عدي بن جبلة الكندي. صحابي جليل . سكن الكوفة، وقتل مع أصحابه بأمر معاوية في مرج عذراء من قرى دمشق سنة ٥١ .

– لعنه الله – حسيناً – عليه السلام – وشيعته وسبعة عشر من أهل بيته ، وسلط على الناس من أهل البيت زياداً^(١) ، ومات سكران . وتبعهما المروانية فأظهر الوليد^(٢) اللاحاد ، وقتل هشام^(٣) زيد بن علي^(٤) – عليه السلام – ، ومات مروان الحمار^(٥) وهو زنديق . وقد قال رسول الله : إذا بلغ بنو أبي العاص^(٦) ثمانين رجلاً اتخذوا مال الله دولا وعباد الله خولا ودين الله دغلاً . وذكروا أن الشجرة الملعونة في القرآن هم بنو مروان ، وأن النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – لعنهم .

لقيت يوماً معاوية فقلت : جمعني وإياك وقومك دار الندوة ، ندبر في أمر محمد ودينه . قال : نعم . قلت . فلماذا تنصر دينه وتركت دين الآباء وخالفت أولئك الشيوخ الكبار ؟ فقال : أنا على رأس أمري أطلب فرصة ، وقد فعلت ما فعلت وليس ثمّ أمر حتى أردّ الناس إلى دين الآباء . ثم ذكر أصحاب القليب

١ . كذا في الأصل .

٢ . أي الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، عاشر الخلفاء الأمويين ، الماضي ذكره .

٣ . هو هشام بن عبد الملك بن مروان ، الخليفة الأموي . بويح بالخلافة سنة ١٠٥ ، ومات سنة ١٢٥ .

٤ . هو زيد بن علي بن الحسين ، العلوي الهاشمي . ثار على الأمويين واستشهد في سنة ١٢٢ . إليه تنسب الفرقة الزيدية .

٥ . هو مروان بن محمد بن مروان ، آخر الخلفاء الأمويين بالشام . استولى على الحكم في سنة ١٢٧ ، وقتل في سنة ١٣٢ .

٦ . هو أبو العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي ، جد الخليفة عثمان ابن عفان ومروان بن الحكم رأس الدولة الأموية المروانية .

وبكى عليهم وأنشد القصيدة الحائية التي قالها أمية بن [أبي] الصلت^(١) يرثي
من أصيب من قريش يوم بدر ، أولها :

ألا بكيت على الكرا	م بنى الكرام أولى الممادح
كبكا الحمام على فرو	ع الأيك في الغصن الجوانح
يبكين حرى مستك	نات يرحن مع الروائح
أمشالهن الباكيا	ت المعولات من النوائح
من ييكنهم ييكي على	حزن ويصدق كل مادح
ماذا يسدر فالعفة	قل من مرازية ججاجح
شيخ ^(٢) وشبان بها	ليل مغاوير وحاح
من كل بطريق لبط	ريق نفسي اللون واضح
القائلين الفاعلية	ن الأمرين بكل صالح
المطعمين الشحم فو	ق الخبز شحمأ كالانافح
لكرامهم فوق الكرا	م مزينة وزن الرواجح
كتناقل الا رطال بال	قسطاس في الأيدي الموائح
خذلتهم فئة وهم	يحمون عورات الفضائح
الضاربين الاقدمية	ة ^(٣) بالمهنة الصفائح

١. هو أمية بن عبد الله بن أبي ربيعة الثقفي ، شاعر جاهلي من أهل الطائف ، وبها

مات سنة ٥ من الهجرة . والشعر في ديوانه المطبوع : ٣٤٥ - ٣٥١ .

٢. في سيرة ابن هشام ٣ : ٣١ (من طبعة القاهرة - ١٣٥٥) والعقد الفريد ٣ : ٣٠٠ .

والديوان : ٣٤٦ (دمشق - ١٩٧٤) وشرحه : ٢٤ (بيروت - ١٩٨٠) . شمت ،

وفي البصائر والذخائر لأبي حيان (٢ : ٦٨٢) : شيب .

٣. في الديوان : التقديمية .

فثلثهم ألقوا بلاء رة كأضجاع الذبائح^(١)
واقد عنا نبي صوتهم من بين مستسق وصائح
لله درّ بني لوي^(٢) أيتّم منهم وناكح
ان لم يغيروا غسارة شعواء تجحر كل نابح
بالمقربات المبعدا ت الطامحات مع الطوامح
مردأ على جرد الى أسد مكابسة كوالح
حتى يلاقى كل قرن قرنه مشي المصافح^(٣)
بزهاء ألف ثم ألف ف بين ذي بدن ورامح

فلما فرغ من انشاد القصيدة تنفسنا الصعداء وبكىنا عليهم وجرى بيننا أحاديث .
فاذا معتزلي قام وقرأ : « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ »
- الآية^(٤) فكانه ألقمهم الحجر . ثم قرأ : « يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ
بَأَفْوَهِهِمْ - الآية^(٥) . قلت أخرجوه !

فصل

اجتمع يوماً في ناد ناس ، فجرى ذكر معاوية فمدحه بعض مشايخنا فقال :
هو امام من الائمة . فقام معتزلي وقال : أنقول له وقد فعل وفعل ... - يعد معائبه
ونحن ساكتون - ، ثم أنشأ يقول :

١. هذا البيت لم يرد في الديوان .

٢. في الديوان : بنى على .

٣. في الديوان : ويلاق قرن قرنه مشي المصافح للمصافح .

٤. سورة التوبة (٩) : ٣٣ .

٥. نفس السورة : ٣٢ .

قالت تحب معاوية ؟ قلت اسكتي يا زانية
قالت أسأت جوابنا فأعدت قولي ثانية
يا زانية يا زانية يا بنت ألفي زانية
أأحب من شتم الوصي أخا النبي علانية ؟
فعلسى يزيد لعنة وعلى أبيه ثمانية (١)

ثم قال : قيل لاعرابي أنتحب معاوية ؟ قال : وجدت معه أربعة ان قلت معها أنتحبه
لتكفر ، قيل : وما هي ؟ قال : قاتل أبوه النبي مراراً ، وقاتل هو وصيه ، وقتل
ابنه يزيد الحسين بن علي ، وأخرجت أمه هند كبد عم [النبي] حمزة . فقال من
حضر : لعن الله معاوية !

حكى معتزلي أن أباسفيان جاء الى علي - عليه السلام - يوم السقيفة وقال :
أترضى أن يلي عليك بنو تميم ؟ أخرج وحارب ؟ لاملأن المدينة خيلاً ورجلاً .
فقال - عليه السلام - : قد علمت أنك ما نصحت الاسلام وأهله قط ! أأمرني أن
أقاتل الصديق ؟ وحكي أنه دخل على عثمان يوم بؤيع له وقال : اني لارجو أن
يعود ديننا كما عاد ملكنا ! فأمر عثمان فأخرج ، وقال : لو لا أنه شيخ خرف
لقتلته .

١. الشعر للصاحب بن عباد في الكامل البهائي لعماد الدين الطبري - من القرن
السابع - ٢ : ٢١٥ (طهران - ١٣٧٦) وروضات الجنات ٢ : ٣٠ (طهران -
١٣٩٠) ، وهو ساقط من الديوان المطبوع والسبب ظاهر . وانما أثبتناه أعلاه
حفظاً للنص ، كما احتفظنا على كل ما جاء في الكتاب من التهجم العنيف على
الفرق المختلفة بما فيها الامامية وأكابرهم .

ولما قتل عمار ^(١) قال عبد الله بن عمر ^(٢) : وقتل عمار ؟ قال معاوية : فماذا
نفعل ؟ قال : أليس النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال « ستقتلك الفئة
الباغية » ؟ قال : نحن ما قتلناه ، وإنما قتلناه علي حيث جاء به الى الحرب ! قال :
وحمزة قتلته النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - حيث جاء به الى أحد ؟

١. أي عمار بن ياسر ، الصحابي الجليل ، الماضي ذكره .
٢. هو عبد الله بن عمر بن الخطاب ، صحابي فقيه ، وهو آخر من توفي من الصحابة
بمكة في سنة ٧٣ .

الباب الحادى عشر

فى الاجال والاموال والارزاق

رأيت من عظيم هذا الباب أمور الدماء والاموال، فوجدت انفسى الممجال.
فألقيت بأن الحرام والمغصوب كلها أرزاق من غصبها وأكلها ، أسهل عليهم
أمور الاموال ليسهل المغصوب والظلم . فقبلتم ذلك .

وأنكرت المعتزلة وقالوا : الحرام لا يكون رزقاً ، ولذلك مدح الله المنفق
من رزقه وذم الغاصب على غصبه وأمر السارق بقطع يده وقاطع الطريق بقتله
وصلبه ، ومن المحال أن يجعله رزقه ثم يعاقبه عليه .

فلما رأى بعض مشايخنا هذا الالتزام قالوا : بأي شيء نستريح من هؤلاء
المعتزلة ؟ فقالوا : الاموال والفروج كلها على الاباحه ، والمنع ذنب ، وليس
فى المظالم عقوبة ولا فى الظلم تبعه . فعند ذلك تحيرت المعتزلة وقالوا : ما
نقول لهؤلاء ؟ وسمونا الاباحية .

حكى معتزلي أن الصحاب^(١) شكى اليه بعض السراق فسأله عن حاله ،
قال : فلما بلغنا مكان كذا فاذأ قضاء الله وقدره كان بأن يسرق منا . فقال الصحاب:
تمسك بهذا السارق فأنا لأقدر على دفعه .

وقيل لمجبر : أليس الله خلق السرقة فى السارق وجعل المسروق رزقاً له ؟

١ . يعنى ابن عبادي، الماضى ذكره .

قال : نعم . قال : فما بال قطع يده ودمه ولعنه ؟ فسكت وقال : لا اعتراض على الرب .

وقيل لصوفي : ان فلاناً يأخذ مالك ويزني عيالك . قال : لا أمنعه عن شيء يشتبهه ، فالمنع والقطع حرام !

فألقيت في الخواطر أن المقتول الله قتله وهو متفرد بالقتل لان المتولد لا يكون فعل الانسان ، أريد بذلك ابطال القصاص والديات وتسهيل القتل . فتم لي ذلك فيكم . وأباه المعتزلة أشد الأباه وقالوا : هو فعل العبد وذلك يجب القصاص والدية والكفارة والتوبة ، وقرأوا قوله : « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَمَنْ يَرْزُقْهُ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ عَلَيَّ وَعَلَىٰ آلِي وَحَسِبُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ السِّرَّ »^(١) وقوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : من قتل مؤمناً يجيء يوم القيامة آيساً من رحمة الله .

وألقيت بأن المقتول لو لم يقتل لمات ، أريد بذلك أنه قتل لاجله دفعاً للذنب عن القاتل . فقبلتم وأنكرت المعتزلة وقالوا : لو لم يقتل كان يجوز أن يعيش ويبقى ، لانه تعالى قادر على ان يبقيه ويميت ، فما معنى القطع لاحد الامرين ؟ وسأل عدلي مجبراً عن قتل الانبياء أكان خاق الله أم لا ؟ فقال : بل خلق الله . قال : فما معنى ذم اليهود بأنهم يقتلون النبيين بغير حق^(٢) وهو القاتل ؟ فسكت . ووجدت الشريعة وردت بالقصاص والعقوبة في العمد والدية والكفارة في الخطأ ، فألقيت بأن القتل ليس فعل العبد اذ هو الجراحات تفرد الله بفعلها - أروم ابطال ما وردت به الشريعة - وأي معنى للفرق ، والخطأ لا يجوز على الله تعالى ؟ اذ لو رفعت القصاص أصلاً لما قبل مني . فقبلتم وأباه المعتزلة .

١. سورة النساء (٤) : ٩٣ .

٢. جاء ذلك في القرآن الكريم في سورة البقرة (٢) : ٦١ وسورة آل عمران (٣)

قال المعتزلى : أليس عندكم اذا لم يخلق الله تعالى القتل لا يكون فى العالم
قتل ؟ قيل : نعم . قال : ولو خلق كان وان أوجب القصاص ؟ قيل : نعم . قال :
فما معنى قوله : « وَآتَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ »^(١) ؟ فانقطع .

(١) سورة البقرة (٢) : ١٧٩ .

الباب الثاني عشر

في جزاء الاعمال والوعيد

قلت عمدة هذا الباب الاقدام على الطاعات واجتناب الخطيئات، وعلمت
أنني إن نهيتهم عن الطاعات وأمرتهم بالمعاصي كان صريح مخالفة الشرع ولا يروج
ذلك . فألقيت أن لاجزاء على واحد، وأن الطاعة لا يستحق بها الثواب والمعاصي
لا يستحق بها العقاب ، ويجوز أن يدخل الله فرعون وسائر الكفار دار القرار
والانبياء دار البوار ، أنفرت الناس عن الطاعات وأجرأهم على المعاصي . فقبلتم
ذلك وقلتم : ديننا ودين آبائنا ، مرحباً بالاتفاق !

وأنكرت المعتزلة أشد الانكار وقالوا : في هذا هدم الدين ومخالفة كتاب
رب العالمين في قوله : « جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »^١ ، وإن كان الامر
كما زعمتم فما معنى الحساب والجزاء ؟ وما معنى الامر بالطاعة والنهي عن
المغصبة ؟ وتلوا : « وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ
نَاراً خَالِداً فِيهَا »^٢ ونحو ذلك من الايات .

وألقيت اليهم - حثاً على المعاصي وجرأة وتثبيطاً عن الطاعة - بأن يوم
القيامة يحمل ذنوب أهل الاسلام على اليهود والنصارى ، ويدفع اليهم طاعة

١ . سورة السجدة (٣٢) : ١٧ .

٢ . سورة النساء (٤) : ١٤ .

الملائكة . فوافقتموني وأظهرتم ذلك وتأولتم الآثار عليه وقررتم عيني وطيبتم نفسي ورعيتم حق الموافقة بيني وبينكم .

وقامت المعتزلة بالنكار وتلوا : « مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنْفُسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا »^(١) ، « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى »^(٢) ، « وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى »^(٣) ونحو ذلك ، وضللوا من روى ذلك ودان به . فضاقت قلبي بمخالفتهم وزاد العداوة بيني وبينهم .

فألقيت اليهم بأن الاطفال تعذب بذنوب الاباء ، غرضي بذلك اظهار القول بجواز العقوبة من غير ذنب . فقبلتم ، وخالفت المعتزلة وقالوا : اطفال المسلمين مع آباائهم فى الجنة لقوله تعالى : « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ »^(٤) ، واطفال الكفار خدم أهل الجنة كما وردت به السنة . وذكر شيخنا أبو الحسن^٥ أنه يجوز أن يعذب الله الانبياء والابرار ويثيب الفراعنة ، ويكون عدلا منه . فسرتني قوله وقلت : مرحباً به وبقوله !

وأنكرت المعتزلة ذلك وتلوا الايات وقالوا : هذا لا يفعله لانه أخبر أنه لا يفعله ، وقالوا : اذا جاز له خلف الوعد فما الامان ؟

قصّ مجبر فقال: يوم القيامة يغفر لجميع مذنبى أمة محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ثم ينادى : يا عبادي ! أمثل هذا يؤتى ان كان لكم غناء فى

١. سورة فصلت (٤١) : ٤٦ .

٢. سورة الانعام (٦) : ١٦٤ .

٣. سورة النجم (٥٣) : ٣٩ .

٤. سورة الطور (٥٢) : ٢١ .

٥. يعنى الاشعرى ، رئيس المذهب ، الماضى ذكره .

الطاعة ، فما بالكم لم تأتونني بالمعاصي لاغفر لكم ؟ قال معتزلي : هذا اغراء بالمعاصي . فقال : رغماً لكم !

ويحكى أن مجبراً حضره الوفاة وعليه ديون جمة ، فجمع أولاده وقال لهم: اني قد علمت أنني من احدى القبضتين فاحتفظوا بما لكم ولا تنقضوا عني شيئاً من ديوني ، فاني ان كنت من أهل الجنة لم يضرني شيء ، وان كنت من أهل النار لم ينفعني شيء^(١) . فقال معتزلي : هذا اعتقاد جميعكم ؟ قال : نعم . قال : بثس الاعتقاد وبثس الزاد .

وسأل عدلي مجبراً - يسمى عبد الله بن داود -^(٢) قال : أليس عندكم أن العبد أنني في كفره من قبل الله ، وأطفال المشركين يعذبون بذنوب آبائهم ؟ قال : بلى . قال : أفكلكم يقول هذا ؟ قال : نعم . قال : فبأي ذنب هذا ولا ذنب من قبله ؟ تبألكم ! ما تقول في مشرك ولد له ابن ومات الابن ثم أسلم المشرك ، كيف حاله ؟ قال : المشرك الذي اسلم في الجنة وطفله في النار . قال: تبأ لهذا القول ، أليس بذنبه أخذ ؟ فما باله غفر له ولم يغفر لولده ؟

قال عدلي لمجبر: أليس عندكم يحمل ذنوب المسلمين على الكفار؟ قال: نعم . قال : فالمعاصي أنفع لانه يحمل على الكفار فيغتمّهم ! وقال : اذا يحمل عليه ذنبه لانه خلقه ؟ قال : نعم !

١. نقله البياضى فى الصراط المستقيم ٣ : ٦٠ .

٢. مر ذكره .

الباب الثالث عشر

فى ذكر السلف

أجتمعت أنا وجماعة من مشايخنا مع المعتزلة ، فجرى ذكر المذاهب ، فذكر معتزلي أن لهم من الاسناد ما ليس لاحد من فرق الامه ، فبان اسنادهم يتصل بواصل وعمر ، وهما أخذا من محمد ابن الحنفية عن أمير المؤمنين علي ابن أبى طالب عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فهل لاحد سلف كسلفنا أو خلف كخلفنا ؟ وأن مذهبنا هاشمي ومذهب الجبر أموي ، وأنا سمينا بالموحدة العدلية ولقبنا بالمعتزلة كما لقب ابراهيم - عليه السلام - حين قال : « وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ » ^(١) ، وعن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال : من اعتزل الشر سقط فى الخير . وما ورد اسم الاعتزال الا فى الاعتزال عن الشر ، فلما اعتزلنا جميع البدع والضلالة ولزمنا الطريقة المستقيمة لقبنا بذلك . والحمد لله الذى هدانا لهذا وعصمنا فى ديننا ودنيانا .

ثم قال : يا معشر المجبرة ! عدوا رجالكم نعدوا وشمروا للقول تستعدوا . فأخذني ما قرب وما بعد ، وقلت : أجيئوا ابن الفاعلة ! فمن هو ومن سلفه وخلفه حتى يفتح علينا ويتناول هذا التناول ؟ فقبل له : ومن سلفكم ومن خلفكم

١. سورة مريم (١٩) : ٤٨ .

بل السلف لنا والخلف منا ! فقال المعتزلي : عدوا ونعد :

أما سلفنا فأولهم الملائكة الأبرار المقربون، لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ -
الاية (١) ، بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ
يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ
ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢) . ألا ترى كيف أضافوا الذنب الى
العباد فقالوا : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ (٣) . ثم من بعدهم الانبياء المرسلون . ألا ترى
أن آدم - عليه السلام - كيف أضاف الظلم الى نفسه فقال : رَبَّنَا ظَلَمْنَا
أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤) .
فقلت : انما قال رغماً الى حيث قلت رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي (٥) . فقال : كذبت
يا ملعون ! لو كذبت لانكر عليه كما أنكر عليك .

ثم قال : ومن سلفنا يوسف - عليه السلام - حيث قال : مِن بَعْدِ أَنْ
نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَخَوَتِي (٦) . فقلت : على الخبير سقطت !
حضرت المجلس الذي حضره يوسف واخوته وهو يوبخهم وهم يعتذرون
فقلت - ومعى جماعة من أصحابي وأتباعي من مشايخ المجبرة - : ما هذا
الاعتذار ؟ والى كم هذا السكوت ؟ أليس كان هذا الايقاع خلق الله فيهم وكانوا

١ . سورة التحريم (٦٦) : ٦ .

٢ . سورة الانبياء (٢١) : ٢٨ .

٣ . سورة البقرة (٢) : ٣٠ .

٤ . سورة الاعراف (٧) : ٢٣ .

٥ . سورة الحجر (١٥) : ٣٩ .

٦ . سورة يوسف (١٢) : ١٠٠ .

لا يقدرّون على تركه فما ذنبهم ؟ فصاح مشايخنا وقالوا : أحسنت والله أنت !
وأخذ يوسف يلعنني ويوركني الذنب ويقول نزع الشيطان بيني وبين اخوتي .
فقال المعتزلي : كذبت وصدق يوسف .

ثم قال : ومن سلفنا موسى - عليه السلام - حيث قال : هذا من عمل
الشَّيْطَانِ^(١) وقال : رَبِّ انِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي^(٢) . قلت : أما هذا كان
معتزلياً صلباً ولقيت منه جهداً عظيماً ، لم تنفذلي فيه حيلة .

قال : ومن سلفنا أيوب - عليه السلام - حيث قال مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ
وَعَذَابٍ^(٣) ، ويونس - عليه السلام - حيث قال : انِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ^(٤) ،
وسائر الانبياء حيث دعوا الى توحيد الله ونهوا عن مخالفة أمر الله ولم يعذروا
أحداً ولم يضيفوا الذنب اليه .

قال : ومن سلفنا الخلفاء الاربعة وسائر المهاجرين والانصار . وخطب علي
- عليه السلام - مشحونة بالعدل والتوحيد . ثم من التابعين كالحسن^(٥)
وقنادة^(٦) بالبصرة ، وأصحاب علي - عليه السلام - وعبد الله^(٧) بالكوفة ،

١ . سورة القصص (٢٨) : ١٥ .

٢ . نفس السورة : ١٦ .

٣ . سورة ص (٣٨) : ٤١ .

٤ . سورة الانبياء (٢١) : ٨٧ .

٥ . هو الحسن بن يسار البصري ، من فقهاء التابعين ومن مشاهير الزهاد ، توفي
سنة ١١٠ .

٦ . مضى ذكره .

٧ . أي عبد الله بن مسعود الهذلي الصحابي ، المتوفى سنة ٣٢ .

ومكحول^(١) وغيلان^(٢) بالشام ، وكأهل الحرمين بالحجاز . ومن سلفنا أولاد رسول الله من ولد الحسن والحسين . ومن سلفنا شيوخنا المتكلمون كأبي الهذيل^(٣) وبشر^(٤) والنظام^(٥) وأبي موسى^(٦) وغيرهم ، ومن الفقهاء كأبي شجاع وزفر^(٧) ومحمد بن الحسن^(٨) والشافعي^(٩) وأمثالهم ، ومن الخلفاء كالأئمة أمون والمعتصم^(١٠) والواثق . ومن خلفنا كأبي علي^(١١) وأبي هاشم^(١٢) وأبي عبد - الله^(١٣) وقاضي القضاة^(١٤) والسادات من العلوية وفي عد جماعتهم تطويل . فهذا ما عندنا فهااتوا ما عندكم .

١. هو أبو عبد الله مكحول بن شهراب الهذلي الشامي، فقيه الشام في عصره . توفي سنة ١١٢ .

٢ - ٦ . مضى ذكرهم .

٧. هو أبو الهذيل زفر بن الهذيل الغنوي الاصبهاني ، الفقيه ، من أصحاب أبي حنيفة . ولي قضاء البصرة وبها توفي سنة ١٥٨ .

٨. هو محمد بن الحسن الشيباني الكوفي ، الفقيه ، من أصحاب أبي حنيفة . ولي قضاء الرقة وتوفي بالرى سنة ١٨٩ .

٩. هو محمد بن ادريس المطلبى . امام المذهب . المتوفى سنة ٢٠٤ .

١٠. هو محمد بن هارون الرشيد ، ثامن الخلفاء العباسيين . بويح بالخلافة بعد وفاة أخيه المأمون سنة ٢١٨ . ومات سنة ٢٢٨ .

١١. هو محمد بن عبد الوهاب الجبائي ، من أئمة المعتزلة . توفي سنة ٣٠٣ .

١٢. هو عبد السلام بن محمد الجبائي ، من شيوخ المعتزلة ، واليه تنسب الفرقة البهشية منهم . مات سنة ٣٢١ .

١٣. هو الحسين بن علي بن ابراهيم الكاغذى البصرى الملقب بالجعل ، من كبار المعتزلة . توفي سنة ٣٦٩ .

١٤. هو القاضي عبد الجبار بن أحمد الاسد آبادى الهمداني ، شيخ المعتزلة في عصره . ولي قضاء الرى وبها مات سنة ٤١٥ .

فقال رجل من المجبرة : بلى سلفنا أهل السنة .

فوثب المعتزلي وقال : أسكت ! أعد رجالك . أولهم الشيخ النجدي^(١) الذى ورك الذنب ريسه ، والثاني مشركوا قريش أحالوا الشرك على مشيته : ثم معاوية ويزيد وبنو سفيان ، ثم من بعدهم بنو مروان الشجرة الملعونة فى القرآن . وان شئت من المتكلمين فخذ اليك حفص القرد وبرغوث^(٢) وضرار^(٣) ويحيى بن كامل^(٤) والقلائسي^(٥) ومن الخلف ابن كلاب^(٦) وابن أبي بشر^(٧) وابن كرام^(٨) . فهل يقابل هؤلاء بأولئك السادات ؟ وأنشد :
من تلقى منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التى يسري بها الساري^(٩)

١ . يعنى الشيطان .

٢ . هو محمد بن عيسى برغوث . عده الشهرستاني فى عداد المجبرة وقال أن مذهبه قريب من مذهب الحسين بن محمد التجار (الملل : ١٤١) . وراجع أيضاً قسم المعتزلة من مقالات الاسلاميين لابی القاسم البلخي : (٧٥) .
٣ . هو ضرار بن عمرو الغطفاني . كان من المعتزلة ثم خالفهم وكتب فى الرد عليهم . مات فى أواخر المائة الثانية .

٤ . مضى ذكره .

٥ . فى الاصل : القلائى . وهو أبو العباس القلائسى ، الماضى ذكره .

٦ . مضى ذكره .

٧ . هو أبو الحسن الأشعري . رئيس المذهب . الماضى ذكره . وكان يلقب بابن أبي بشر كما فى الفهرست لابن النديم : ١٨١ (من طبعة فلوجل) .

٨ . هو محمد بن كرام . رئيس الكرامية . الماضى ذكره .

٩ . يروى البيت للرنديس فى أمالى القالى ١ : ٢٣٩ ومعجم الشعراء للمرزبانى : ٣٠٦ (القاهرة - ١٣٥٤) وزهر الاداب للحصرى ٢ : ٩٥٨ وغيرها ، ولعبيد ابن الرنديس فى الكامل للمبردا ١ : ٧٨ (القاهرة - ١٣٧٦) والتنبية لابی عبيد البكرى : ٧٣ ، ولزهير فى قواعد الشعر لثعلب : ٤٧ (القاهرة - ١٩٦٦) .

فقام معتزلي من الجن وقال : أما سلفنا فحضرُوا رسول الله وأخذوا منه دين الله ولم يضيفوا ذنباً إلى الله ، بل ردوا على المجبرة قولهم حيث قالوا : **وَإِنَّهُ كَانَ يَتَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً ، وَإِنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِباً .**^(١) ثم أخذ يطري مذهبه ويزري بمذهبهنا . فقلت لمشايخنا : أما فيكم مجيب ؟ أما فيكم معين ؟ أما أحد يقوم مقاماً فيذب عن مذهبه ؟ فما أجاب أحد جواباً .

فقرأ قارىء : **« سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا »**^(٢) . فقال بعض مشايخنا : من هؤلاء الذين قالوا بمقالتنا وأضيف اليهم الشرك ؟ فقال المعتزلي : أولئك كفار قريش أعداء رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ومنكروا دين الله . فغضبت وقلت : أولئك الملاء من قريش

بدور الدجى وشموس الضحى أسود الوغى وبحور الندى
كم من مجلس جمعني وإياهم ، وكم من تدبير جرى بيني وبينهم . كانوا
كما قيل :

وسادة عاشرتهم لم أزل في ظل عيش بهم رغد
وكان أخص القوم بي أبو الحكم^(٣) ، سيد من أخلصني وده وخير من
أخلصته ودي . ومشايخي حواري ييكون والمعتزلة يسخرون ويلعنون !

١ - سورة الجن (٧٢) : ٤ - ٥ .

٢ - سورة الانعام (٦) : ١٤٨ .

٣ - يعنى أباجهل - عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي ، أشد الناس عداوة للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - والذي قتل في غزوة بدر (سنة ٢) .

الباب الرابع عشر

فى المقامات والحكايات

اجتمعت وجماعة من مشايخنا من الجن فى مجلس معتزلى من الجن عقد مجلساً فى يوم عاشوراء ، فذكر الحسين وقتله وأبكى وبكى . ثم قال : لعن الله الامر والباعث والحاشر والمباشر والمزين والذاب . وارتفعت الضجة بآمين رب العالمين ! فقلت : من هؤلاء الذين لعنتم ؟ قال : أما الامر فيزيد اللعين ، وأما الباعث فابن زياد الخبيث ^١ ، وأما الحاشر الذي جمع الجنود وذهب به عمر بن سعد ^٢ ، وأما المباشر فشمر ^٣ ، وأما المزين فأنت وأتباعك من الشياطين ، وأما الذاب فالحجيرة حيث ذبوا عن هؤلاء واعتذروا لهم وحملوا الذنب على الله تعالى . وأخذ يلعنني .

فقال أصحابنا : أنظرون وهذا الخبيث يواجه شيخكم بمثل هذا الكلام واللعن ؟ أما فيكم ذاب ؟ أما فيكم دافع ؟ فقام واحد من مجبرة الجن وقال :

١. هو عبيد الله بن زياد بن أبيه ، أمير البصرة فى عهد معاوية ويزيد ، وهو الذى سىر الجيش لقتال سيدنا الحسين - عليه السلام - . قتل فى من قتل من قتلة الحسين سنة ٦٧ .

٢. هو عمر بن سعد بن أبى وقاص ، أمير الجيش الذى قاتل سيدنا الحسين - عليه السلام - . قتل فى سنة ٦٦ .

٣. هو شمر بن ذى الجوشن الضبابى الكلابى ، قاتل سيدنا الحسين - عليه السلام - . قتل فى سنة ٦٦ .

كذبت يا ابن الفاعلة ! أنت وأصحابك من المعتزلة ، لا ذنب لواحد من هذه الفئة ، أليس خلق الله الامر في يزيد والبعثة في ابن زياد والحشر في ابن سعد والقتل في شمر والتزير في الشيطان والذب عنهم في هؤلاء المشايخ ؟

فقال المعتزلي : كذبت أنت على الله والله منه بريء ، والذنب لهؤلاء الملائعين لا لرب العالمين ! فكان يقول هذا له : كذبت ! ويقول هو لهذا : كذبت ! فقال المعتزلي : هب أنا كذبنا ، فالكذب على ابن زياد خير من الكذب على رب العباد . فقلت : ما حملك يا معتزلي على ما واجهتني به ؟ فقال : قوله تعالى : « اِنَّ الَّذِيْنَ يَكْفُرُوْنَ مَاۤ اُنْزِلْنَا مِنْۢ بَيِّنٰتٍ وَالْهُدٰى » .. الاية ^(١) ، وقوله : « وَاِذَا اٰخَذَ مِيثَاقَ الَّذِيْنَ اٰوْتُوا الْكِتٰبَ لَنُنَبِّئَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرْ بِهٖ » ^(٢) . وارتفعت الضجة ، وأنشأ يقول :

سيعلمون اذا الميزان بينهم أهم جنوها أم الرحمن جانبيها ^(٣)

وكثر المقال ، وأدى ذلك الى القتال ، وتفرقنا ونحن على سوء حال !

حكاية عقد شيخ من مشايخ المجبرة من الجن مجلساً وحضرته ، فقرأ قارىء : « وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون » ^(٤) ، وقال قاص : المعني بهذه الاية هم المعتزلة ، لانهم آمنوا بالله ثم اشركوا حيث جعلوا للعباد فعلاً كما أثبتوا له فعلاً ، وأثبتوا لهم ارادة كما أثبتوا له ارادة . فقام معتزلي من غمار الناس فقال : كذبت ! بل المعني بذلك المجبرة القدرية الذين كذبوا على

١. سورة البقرة (٢) : ١٥٩ .

٢. سورة آل عمران (٣) : ١٨٧ .

٣. البيت لعمر بن فائد المعتزلي ، الماضي ذكره ، على مافى المنية والامل لابن

المرتضى : ١٥٩ (بيروت - ١٩٧٩) ، وفيه وفي غيره من المصادر (كمتشابه

القرآن لابن شهر آشوب : ١٢٠) : « اذا الميزان شال بهم » .

الله ووصفوه بما لا يليق به وأشركوا معه في صفاته ونقضوا جملة ما أقروا . قالت له : ولم قلت ذلك ؟ بيّن دعواك ببرهان . فالتفت اليّ وقال : نعم ! من وجوه جمّة وضروب كثيرة ، فانهم ما أقروا بجملة الا ونقضوه بالتفصيل ، وما اعترفوا بأمر إلا أبطلوه عند التحصيل ، فخذ اليك مسألة مسألة :

أولا قالوا: انه واحد، ثم أنبيوا معه قدماء أشركوهم معه في القدم ، فنقضوا الاول والتحقوا بالثنوية .

وقالوا : ليس له مثل وشبه ، ثم قالوا له وجه ويد وجنب وساق ، فنقضوا ما أسسوا .

وقالوا : لا يشبهه شيء وليس له كيف ، ثم قالوا يرى كما يرى المحدثات ، ورووا أنه يرى كما يرى القمر ليلة البدر ، وهل تشييه أعظم من هذا ؟

وقالوا : انه صادق ، ثم قالوا كل كذب منه وانه يجوز أن يخلف وعيده .

وقالوا : انه حكيم ، ثم قالوا كل سفه وقبيح فمن قبله ومن خلقه وارادته وقضائه وقدره .

وقالوا : انه عدل ، ثم قالوا يعذب من غير ذنب وبأخذ واحدأ بذنب آخر بل يخلق للنار ويعذب من غير جرم ويعذب على ما خلقه فيهم وأراده منهم .

وقالوا : الطاعة واجبة والمعصية حرام ، ثم قالوا لاجزاء على واحد منهما .

وقالوا : الوعد والوعيد حق ، ثم قالوا يجوز أن يعذب البررة ويثيب

الفجرة ويدخل الانبياء النار والفراغة دار القرار .

وقالوا: الانبياء حجج الله ورسله ، ثم قالوا يجوز عليهم الكذب والكبائر .

فما أتوا جملة الانقضوها ولا كلمة الا أبطلوها . ثم قالوا : الفعل خلق الله وكسب للعبد ، ولا يصح حصول الكسب الا بخلق الله ولاخلق الله الا بكسب

العبد ، وهذا عين الشرك كما لا يمكن لأحدهما التصرف الا مع الآخر
ووصيين ووكيلين .

فأما نحن نقول : انه تعالى القادر على ما لا يتناهى من المقدورات ، فإذا
أقدر عبده على شيء قدر والا فلا ، فمثلنا معه كمثل ملك وسائس ان أعطاه شيئاً
أخذهُ والا فلا ، فهل يقال انه شريكه في ملكه بذلك ؟ ثم ما قررنا أصلاً الا
وافقناه بين جملة وتفصيله ، ما نقض كلامنا بعضه ولا يبطل بعض أصولنا بعضها .
فنحن المؤمنون حقاً وأنتم كما قال الله : « وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ وَهُمْ
مُشْرِكُونَ » ^(١) . فما أجاب أحد جواباً .

حكاية - جرى يوماً حديث البدر ، فقلت : أنا شاهدتها وحضرتها مع الملا
من قريش أشجعهم وأمنهم وأنصرهم بجنودي من الشياطين ، فلما رأيت
الملائكة تنزل من السماء علمت أن لاطاقة لنا ، فهربت وأنشدت :

وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبت نفضت بها يدي ^(٢)
فقال بعض المعتزلة : فيك نزل : « وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
- الى قوله - نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ » ^(٣) . لاجرم فيك ومن اتبعك نزل :
« فَكَانَ عَاقِبَتُهُمْ مَا أَنَّهُمْ فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا » ^(٤) . وجرت بين
المعتزلة والمجبرة مناظرات كنتم ذابن عني ، فشكرت لكم ذلك .

١. سورة يوسف (١٢) : ١٠٦ .

٢. البيت لحيان بن الحكم الفرار السلمي في الحماسة لابي تمام ١ : ١١٠ (من
طبعة الرياض - ١٤٠٢) ، والعقد الفريد ١ : ١٣٩ ، والحيوان ٥ : ١٨٥ ،

وعيون الاخبار ١ : ١٦٤ وغيرها .

٣. سورة الانفال (٨) : ٤٨ .

٤. سورة الحشر (٥٩) : ١٧ .

ثم جرى حديث أحد فقلت : حضرتها مع شيخنا أبي سفيان وامرأته هند وابنه معاوية وجماعة جنوده، وكنت أفعل الأفاعيل حتى جرى ما جرى وناديت: قتل محمد حتى انهزم الناس . فلما أمد بالملائكة وتراجع الناس صعدت مع شيخنا أبي سفيان الجبل وصحنا : أعل هبل يوم بيوم بسدر ، فقام عمر وقال : بعداً لكم الله أعلى وأجل ولاسواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار . وقصدني وعلمت أنني لاطاقة لي بمعر فهربت ، وكنت لأفر من أحد فراري من عمر ، وأنشد :

ولقد أجمع رجلى بها حذر الموت واني لفرور^(١)

حكاية = اجتمعت في ناد مع جماعة من الجن ، فقال بعض مجبرة الجن: أستغفر الله من ذنوبي ! فقال معتزلي من الجن : تستغفر من ذنب جنيته أو ذنب لم تجته ؟ وأي فرق بينك [وبين من] قال : أستغفر الله من سواي وبياضي ، وهما عندك جميعاً من خلقه ؟ فانقطع .

فقرأ قارئ : « إِنَّ عِبَادَ الْإِسْآتِكَ عَلَيْهِم سَاطْآنٌ »^(٢) . فقلت : من هذا الذي لاسلطان لي عليه ؟ فقال : من لا يتركك ولا يلتفت الى كلامك ولا يوافقك في عقيدتك ، بل يلعنك وبعادبك ويلعن أتباعك وأشباعك ، وينزه الله ويقول بالتوحيد والعدل . قلت : من أنت ؟ قال ، أنا العدلي الموحد لربه المعترف على نفسه بذنبه . ثم أنشد :

قل فما اخترت من دين تفوز به

فقلت اني شيعي ومعتزلي^(٣)

١. البيت لعمرو بن معد يكرب ، وهو في ديوانه المطبوع : ١٠٢ .

٢. سورة الحجر (١٥) : ٤٢ .

٣. البيت للصاحت بن عباد ، وهو في ديوانه : ٣٩ .

وأنشد :

إذا بعثت لقيت الله مبتهلاً

معي إمامان من عدل وتوحيد

هذان أصلان ضل الناس بينهما

إلا المجرد فيه أي تجريد^(١)

وجرى ذكر السجود لادم ، فأخذ المعتزلة يلعنونني ويسبونني . قلت : أما من ذاب ؟ فقالت المجبرة : إلى متى هذا اللوم ؟ لو خالي الشيخ اسجد واكن منع . فقال معتزلي : تباً لكم ، أتذبون عن الشيطان وتكذبون على الرحمن ؟ وارتفعت الاصوات وكثرت المباهلة بين الفريقين وتفرقوا ، والمعتزلي ينشد :

الله يعلم أنني لأحبكم ولا نلومكم أن لا تحبونا

فقلت لمشايخنا : أنتم أصدقائي حقاً ، لولاكم لذهب أمري هدرأ !

حكاية - قلت لأصحابي من مجبرة الجن : لاطاقة لنا بهؤلاء المعتزلة ، فالصواب ما فعله قريش بمحمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وأصحابه في حصار الشعب ، فبايعنا أن لا نكلمهم ولا ندخل عليهم ولا نباعهم وتحالفنا على ذلك . وقام معتزلي فقال : رأيتم لو خلق فيكم كلامنا والدخول علينا ومبايعتنا

١. يشبه شعر صاحب وليس في ديوانه ، كما ليس فيه الأبيات الثلاثة التي رواها له ابن فندق في كتابه تاريخ ييهق : ١٣٥ في مدح آل محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ، ولا الأبيات الأربعة التي رواها له المافروخي (ترجمة محاسن اصفهان للآلوي : ١٤ ، والأبيات ساقطة من الأصل العربي طبعة طهران - ١٩٣٣) في مدح اصفهان ، ولا الأبيات الكثيرة التي رواها له ابن شهر آشوب في كتابه متشابه القرآن : ٦١ ، ٩٣ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٤٢ ، ١٤٦ و ١٦٧ في دعم أصول العدلية ورد المجبرة .

ومخاطبتنا أتقدرون على الامتناع ؟ فقلت لأصحابي : اسكتوا ولا تجيبوهم
تفتضحوا ! فقام يجر رداءه وينشد :

وما بقاء علي تركتmani ولكن خفتما صرد النبالي^(١)

حكاية - وقعت مسألة ، وهي أن واحداً حلف بأن ما يملكه من ماله صدقة وما
يملكه من عبيده أحرار وما يملكه من نسائه طواقي ، ثم ندم ، فسأل عنها فقهاء
المعتزلة فقالوا : مالك صدقة وعبيدك أحرار ونساءك طواقي . فقال شيخ من شيوخ
المجبرة : أخطأ الفتوى وما أصابك ، است تملك شيئاً ، لأنك ان قلت مع الله
فقد أشركت وان قلت من دونه كفرت . فقال المعتزلي : يا أحمق ! انما يملك
ما ملكه الله ولا يملك شيئاً من دون الله . وضج الناس وقالوا للجبري : أخطأت !
مالك والفتوى ؟ .

* * *

وروى بعضهم عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : لعن الله
المنفرين ورحم الله المكلفين . فقال بعضهم تفسيراً للخبر : المنفر من أيس من
رحمة الله ، والمكلف من لم يؤيس عباده من رحمته . فقام معتزلي وقال : نحن
المكلفون والمجبرة هم المنفرون ، لأننا نصف الله بكل رحمة ورأفة وثناء حسن
وهم يذكرونه بكل قبيح وبالظلم فينفرون عنه . وارتفعت الضجة وتفرقوا .
وقرأ قارىء : « فَفَرِّوا إِلَى اللَّهِ »^(٢) ، فقال المعتزلي : على مذهبنا الفرار
إليه يجب وعلى مذهب المجبرة الفرار عنه يجب ، لأن عندنا كل خير فمنه وكل

١ . البيت لمنازل بن ربيعة ، اللعين المنفري كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٤٩٩

(بتحقيق احمد محمد شاكر ، القاهرة - ١٩٦٦) ولسان العرب ٤ : ٢٣٦ .

٢ . سورة الذاريات (٥١) : ٥٠ .

شر فهو منه بريء ، وعند المجبرة كل شر فى العالم فمن جهته فيجب الفرار عنه . فغضبت المجبرة وقالوا : الى كم هذا الازراء ؟ اما أن تجيئوه واما أن تخرجوه ! فقام المعتزلي وقال : تعالوا نتتصف ! أصف مذهبي ومذهبكم حتى يتبين أيننا على الحق . ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وأهل بيته وأصحابه ، ثم ذكرهم نعم الله تعالى على عباده دنياً وديناً وحثهم على شكره ووعظهم وذكّرهم ماضى من المثلات وما أوعده به ووعد .

ثم قال : أيها الناس ! ان المجبرة حزب الشيطان وخصماء الرحمن وشهود الزور ، وأن العدلية حزب الله وأتباع رسول الله وحفاظ دين الله والذابون عن حريم الله ، فان المجبرة تزعم أن كل فساد فى العالم فمن الله وكل شر فمن خلقه وقضائه وارادته ومشيته ، فالتحرز والفرار منه يجب لان الشر منه ، والعدلية تقول كل خير ورحمة فمنه فيجب الفرار ليه .

وتفصيل هذه الجملة أنهم قالوا : خلق الكفر فى الكافر ثم أمر بقتله ، ولولا خلقه لما كان فى العالم كفر ، واذا كان ذلك خلقه فما معنى المحاربة والسلاح ؟ أيريد أحد ابطال خلقه أم القتال معه فى جملة ؟ ثم اسم يدع مع هذا أن خلق فيهم الكفر ، ثم أمر بسبيهم وقتلهم ، ثم أوعدهم عذاب النار خالداً مخلداً . فيحتجون للكفار والفجار ويحملون الذنب على الملك الجبار ونحن نقول : هم الفاعلون وهم المذنبون ، واستحقوا نكال الدنيا وعقاب الاخرى بسوء افعالهم ومقالمهم .

وقالوا : هو الذى يجيء بالزاني الى دار المزنبي بها ويخلق فيهما الزنا ، ولولا خلقه لما كان فى الدنيا زنا ، فما بال الحيطان والحراس يتحرس من خلقه وقضائه ؟ وما معنى النهي والجلد ؟ أيقدرّون على الامتناع من حكمه وفعله ؟ وكيف يخلق الزنا ثم يأمر برجمه ويوعد بالعذاب الابد على فعله ؟

وقالوا : ثم جاء بالسارق الى دورهم ويخلق فيه تسنم قصورهم وأخذ أموالهم لا يقدر على الامتناع ، ولولا خلقه لما كان فى الدنيا سرقة ، ثم يأمر بقطعه . أهكذا فعل حكيم ؟

وقالوا: يخلق الغصب فى الغاصب ثم يأمر باسترداده منه ، ولولا خلقه لكان الاسترداد مستغنى عنه ، ثم أخذ فى لعنه لم كان ؟ ولو لاخلقه لما كان فى الدنيا غصب .

وقالوا : خلق فيه أخذ مال الغير وخلق فيه اليمين الغموس ، ثم أوعده بأن يدع الديار بلالق وأنها من الكبائر ، ولولا خلقه لما كان فى العالم يمين غموس .

وقالوا : يخلق القتل فى القاتل ثم يأمر بالقصاص ، ولولا خلقه لما كان فى العالم قتل ولا احتيج الى القصاص .

وقالوا : خلق الكفر فى الكافر والشرك فى المشرك ثم أمر رسوله بأن يرده عنه ، ولولا خلقه لما كان شرك .

وقالوا: لاضرر ولاظلم ولاشر فى العالم الا وهو من خلقه وقضائه وارادته، فمن كان بهذه الصفة أليس يجب الهرب منه والاعراض عنه ؟

وقالوا : ليس للشيطان فى الوسوسة صنع ولا للعباد فى الذنوب فعل بل كله من خلقه ومن جهته ، فأى قوم أشد محاربة له منهم وأساء ثناء عليه منهم؟ ثم ان هؤلاء المجبرة ان أقروا به باللسان وحمدوا ظاهراً فقلوبهم منطوية على بغضه ، لانهم اتهموه حيث قالوا : لا يامن أحد شره وان عبده ألف سنة ، لعله للنار خلقه والكفر فطره ويسلبه فى آخر عمره الايمان ويدخله النيران . فاذا قالوا لعن الله من سرق وزنى وظلم وعتا، فاياء عنوا وعليه دعوا، لان عندهم أن ذلك كله منه وهو الذى أوجده ثم يحتجون للعصاة بأنهم من جهته أتوا ، ولو

قدروا لاطاعوا ، وأنهم للعصيان خلقوا ، وأي ذنب لابليس وهو منعه من السجود؟ وأي ذنب لفرعون وهو خلق فيه « أنا ربكم الأعلى » وكره أن يقول « سبحان ربّي الأعلى » ؟ وأي ذنب لنمرود وهو خلق فيه الكفر والعصيان ؟ وأي مدح لابراهيم وهو خلق فيه الايمان؟ ثم كذبوا حيث جاؤوا يذكرونهم نعم الله وقالوا: لانعمة الله عليهم لانه خلقهم للكفر والنار .

وكذبوا الرسل حيث دعوهم الى الايمان ونهوهم عن الكفران والقوم قالوا : قلوبنا غلف ولا نقدر على ذلك ، والمجبرة تشهد لهم بالصدق ولا قواهم بالحق رداً على رسول الله .

واحتجوا لابليس بما لا يحتج لنفسه ، فانه قال: لاتلوموني ولوموا أنفسكم حيث قبلتم مني ولم تقبلوا من خلقكم ، وهم يقولون : لاتلوموني ولاتلوموا أنفسكم ولكن لوموا خالفكم حيث خلق فسي ابليس الوسوسة وخلق فيكم المعصية .

وقالوا : انه يعذب بغير ذنب ويعاقب بغير جريمة .
ثم أضافوا الى الرسل كل قبيح ووصفوه بما لا يليق بهم ، تنفيراً المعقلاء عنهم وعن طريقته .

ثم دانوا بيبغض أهل بيت نبيكم واعتقدوا موالاته أعدائهم .
ثم أبطلوا الرسل والكتب والامر بالمعروف ، بأن قالوا : لا يجدي ذلك شيئاً ، ان كان من قبضة أهل النار فلا ينفعه شيء وان كان من قبضة أهل الجنة فلا ينفعه شيء . وقالوا للامرين بالمعروف : أتتقضون ما خلق الله أم تدفعون ما قدر الله ؟ أتدعون الى شيء ليس اليهم من ذلك قليل ولا كثير ؟ فأي قوم أسوء ثناء على الله منهم ؟ ويقولون : الغوث مما فعل ربنا ونعوذ مما قضى فينا ونسأله البعد من مشيته لنا . فتباً لهم ! ضلوا وأضلوا .

فانظروا رحمكم الله الى هذه المذاهب الردية ثم انظروا الى مذاهب العدلية حيث قالوا : انه تعالى واحد لاشبه له ولا نظير له وانه هو الحي المتفرد فى ملكه المتوحد فى سلطانه الفادر العالم لذاته لا يحتاج الى علة به يعلم ويقدر ، وانه السميع البصير [من غير حاجة] الى طبيعة بها تحيى ولاسمع ولابصر به يدرك . ويقولون : انه لا يرى ولا يسمع ، وليس له مكان ، ولا يجوز عليه صفات الاجسام . وانه عدل فى أفعاله صادق فى أقواله ، لا يفعل القبيح ولا يشاؤه ولا يقضيه ، بل هو فعل العباد وانهم أحدثوه . وانه كلفهم رحمة منه فمن أطاعه أثابه ومن عصاه عاقبه ، لا يأخذ أحداً بذنب أحد ولا يعاقبه بغير جريمة ، وأعطى المقدرة وأزاح العلة ، فمن عصاه فمن قبل نفسه أتى ومن أطاعه فبدلالته وتوفيقه وبهدايته اهتدى . وانه وعد وأوعد ووفى بكل ذلك ، لا يجوز عليه الخلف ، ما يبدل القول لديه وما هو بظلام للعبيد^(١) . وانه بعث الانبياء حجة على خلقه ونزههم عما لا يليق بهم من مخالفته ، وأمر بالشرائع مصلحة لعباده وأقام الاثمة تطهيراً لبلاده . « فله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون بما كانوا يعملون »^(٢) . ووصفوه بما وصف به نفسه من الرأفة والرحمة ، ونزهوه عما نزه نفسه عنه من القبائح ، وحببوه الى خلقه بذكر نعمه ، وشكروه على ما أسدى اليه من كرمه . فتوازروا فى دين الله ، وتحابوا فى أمر الله ، وذروا هؤلاء المجبرة فانهم اعداء الله وأعداء رسول الله ، فتفرق الناس وهم يلعنون المجبرة .

وسأل عدائي مجبراً : أليس بعث الله يحيى الى قومه ؟ قال : نعم . قال : أليس خلقت فتكه فيهم ؟ قال : نعم . قال : فهل هذا فعل حكيم ؟ قال : لا .

١ . مأخوذ من قوله تعالى فى سورة ق (٥٠) : « ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد » .

٢ . سورة الاعراف (٧) : ١٨٠ .

قال : فلم تقول به ؟ قال : دين الالباء .

وسأل آخر : أليس جعل الله الماء رزقاً للعباد ؟ قال : نعم . قال : أفعاقبهم
بأخذه ؟ قال : لا . قال : أليس جعل الغصب رزقاً للغاصب ؟ قال : بلى . قال :
أفعاقبه عليه ؟ قال : نعم . قال : ولم وقد استويا ؟

ومات مجبر وكان ناسكاً بالبصرة ، فرئي في المنام وقيل له : ما فعل ربك
بك ؟ فقال : لا ينفع مع هذا القول عمل .

وحكي عن المبرد ^(١) قال : كان جيراننا كلهم جبرية غير رجلين يقولان
بالعدل ، فسافر أحدهما ومرض الآخر فعدناه ، فقال : رأيت النبي - صلى الله
عليه وعلى آله وسلم - في المنام ، وكان صاحبي الغائب معي ، فأخذ النبي
- صلى الله عليه وعلى آله وسلم - بيدي ويده ، ثم قال : ' فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ
فِيهَا ' مِنْ الْمُؤْمِنِينَ ' قَمَا ' وَجَدْنَا فِيهَا ' غَيْرَ بَيْتٍ ' مِنْ الْمُسْلِمِينَ ' » ^(٢) .
فقلنا خيراً رأيت . فمات من يومه ، وصح عندنا أن صاحبه الغائب مات في
ذلك اليوم .

وقال مجبر لعديلي : جئت اليوم دارك فلم أجدك في الدار . قال : أنت
جئت أم الله جاء بك ؟ قال : بلى جاء بي . قال : أو علم أنني لست في الدار ؟ قال :
نعم . قال : فإذا سخر بك !

١. هو أبو العباس محمد بن يزيد الثعالبي الأزدي ، إمام العربية في زمانه وأحد

أئمة الأدب والأخبار . ولد بالبصرة ومات ببغداد سنة ٢٨٦ .

٢. سورة الذاريات (٥١) : ٣٦ .

الباب الخامس عشر

فى ذكر المذاهب

حضرت مجلساً حضره جماعة من المعتزلة والمجبرة وجرى ذكر المذاهب . فقال رجل من المعتزلة : كل مذهب سوى مذهب أهل العدل مضمحل وكل كلام سوى كلامهم فهو داحض . فرمقوه بأبصارهم وقالوا : ام قلت ؟ قال : النحل على ضربين : قوم خارج الاسلام كالدهريسة والثنوية وعباد الاوثان والصابئين واليهود والنصارى ، فهم خارجون عن الملة مبائنون للنحلة ، أجمعوا على تكفيرهم ونطق الكتاب والسنة بتضليلهم . والفرقة الثانية المنتحلون للاسلام الذابون عنه وهم فرق الخوارج والنجارية والاشعرية والكرامية والرافضة ، وهم أهل البدع . لم يبق الا واحد وهم المعتزلة أصل الحق والدين . ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : ستفترق أمتي بضعاً وسبعين فرقة أبرها وأنقاها الفئة المعتزلة ، وقال - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فى الاولين بعد أن ذكر أهل البدع : الراد عليهم كالشاهر سيفه فى سبيل الله . فنحن القائمون بدين الله ، الذابون عن حريم الله ، المحافظون لحدود الله ، المجاهدون فى سبيل الله ، الناصرون لأهل بيت رسول الله ، الخارجون مع من خرج من أولاد رسول الله ، الرادون على من كذب على الله وعلى رسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وأصحابه . أما علمت مشايخنا كيف قاموا المواقف

وكيف ردوا على أهل الأهواء والضلال . فرحم الله سلفهم وخلفهم وأحقهم
بنيهم - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - .

فقلت : يامعشر الاصحاب ! أما من راد ؟

فقام شيخ وقال : لم أبطلت هذه المذاهب حتى صححت مذهبك وأطريت
طريقك ؟ فقال : أبين مذهباً مذهباً وماهم فيه من الطرائق الردية والاقوال السيئة :
أما النجارية فان رئيسهم الحسين النجار ، وكان غرضه التلبيس والتدليس
ولم يكن يرجع الى دين . فحدث أبو العباس بن محمد الهاشمي قال : كان النجار
حائكاً في جوار بيت لنا . وقال أيضاً : قلت للنجار ويحك ! انك قلت في
الاستطاعة مقالة لا يقبلها العقل ، فقال : اني لأعرف صحة هذه المقالة ولافساد
قولكم ولكني في قلبي هذا رأس ومتى صرت الى قولكم صرت ذنباً فلا أفعل .
فانظروا كيف اختار الدنيا على الآخرة . ومن قول النجار : ان معنى قولنا «عالم»
أنه ليس بجاهل فقط ، ومعنى قولنا « قادر » أنه ليس بعاجز ، ومعنى قولنا «حي»
أنه ليس بميت ، وليس هناك صفات . وهذا خروج من التوحيد . ومن جهله
أنه قال : القرآن مكتوباً جسم وملئوا عرض ، وعنده يجوز بقاء الجسم ولايجوز
بقاء العرض ، فيلزمه أن يكون القرآن باقياً وغير باق . وقال : الجسم أعراض
مجتمعة . ويقول : ان الله في كل مكان بذاته لا بمعنى الحلول والمجاورة ، وهذا
غير معقول . ويقول : انه قادر لذاته عالم لذاته مريد لذاته . ثم يقول : ما يصح
أن يعلم يجب أن يعلم وما يصح أن يكون يجب أن يقدر عليه ، ثم لا يقول
ما يصح أن يكون مراداً يجب أن يريد ، فقد ناقض . ويقول : الكافر يصح منه
الايمان في حال الكفر ، وهذا تجويز لاجتماع الضدين . ويقول : قدرة الايمان
تضاد قدرة الكفر ، فيستحيل من الكافر الايمان لوجود قدرة الكفر ، فقد ألزم
الله المحال . ويقول : النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - والمؤمنون

لا يستحقون الثواب دائماً والكفار لا يستحقون العقاب دائماً . وهذا خلاف
الاجماع والقرآن . وقال من هذا الجنس من المحالات ما يطول به الكتاب .
ومن كلامه الذي لا يعقل القول بالبدل وأن قطب الرحى يتحرك ولا ينتقل .
وأما الاشعرية والكلابية فأكثر كلامهم غير معقول . قالوا : عالم يعلم قادر
بقدره لاهو ولا غيره ولا بعضه . وقالوا : هو مستو على العرش بمعنى صفة له
تسمى الاستواء . وقالوا : المسموع ليس بكلامه وإنما هو صفة تقوم بالذات .
وقالوا : يرى الله لافي جهة ولا في كيف . وقالوا : فعل العبد خلق الله كسب له .
فاذا سئلوا لم يأتوا بمعقول ، وإنما فعلوا ذلك لأن غرضهم كان هدم الدين .
ومن قولهم أن مع الله قدماء تسعة ، وما أطلق أحد قبلهم ذلك .
ولقي بعض النصارى بعض الاشعرية فقال : مرحباً يا اخواننا ! نحن نقول
ثالث ثلاثة وأنتم تقولون تاسع تسعة !

وحكى أبو العباس البصري^(١) قال : دخلنا على نينون^(٢) النصراني فسأته
عن ابن كلاب ، قال : رحمه الله ، كان يجيء ويجلس الي تلك الزاوية - وأشار
الى زاوية من البيعة - وعني أخذ هذا القول ، ولو عاش لنصّرنا المسلمين .
ولما بعث عضد الدولة^(٣) الباقلاني^(٤) الى الروم رسولا ...^(٥) اياك ولك

١. فى الفهرست لابن النديم : ١٨٠ (من طبعة فلوجل) : البغوى ، والقصة مذكورة
فى هذا المصدر .

٢. فى الفهرست لابن النديم : فثيون .

٣. هو فنا خسرو بن ركن الدولة حسن بن بويه الديلمى ، كبير الملوك البويهيين ،
مات فى سنة ٣٧٢ .

٤. هو القاضى أبو بكر محمد بن الطيب البصرى ، من كبار المتكلمين . اليه انتهت
الرياسة فى مذهب الاشاعرة . توفى سنة ٤٠٣ .

٥. هنا سقط فى الاصل .

مذهبك فانهم يلزمونك مذهبهم .

وقال: انه مسموع يدرك بسائر الحواس ، وانه أسمع نفسه موسى ، والكلابية أنكروا ذلك عليه . وزعم أن كلامه شيء واحد قائم بذاته لا يسمع ولا يدرك ، وأن القرآن والتوراة والانجيل ليست بكلام الله ، وأن هذه الايات والسور مخلوقة. وزعم أنه تعالى يرضى بالكفر ويحبه. وزعم أنه كلف عباده ما لا يطيقون ، ولو كلف العاجز لجاز ، ولو كلف المحال والجمع بين الضدين لجاز . وزعم أنه لو عاقب الانبياء والابرار وأثاب الفراعنة والكفار لحسن عنه . وجوز على الله تعالى الالغاز والتعمية ليضل عن الدين . وزعم أنه لانهمة لله على الكفار لانه خلقهم النار، ورد بذلك نص القرآن في قوله تعالى: «يَعْرِفُونَ نِعْمَتَهُ»^١ . وزعم أن القبيح يقبح للنهي والحسن يحسن للامر، فيلزمه أن لا يحسن من الله شيء . وزعم أن أفعاله لا تكون لغرض . وزعم أن ما باين محل القدرة فعله تعالى ليس بكسب للعبد . وزعم أن الثواب والعقاب ليس بجزاء ، ولكن من شاء أثابه ومن شاء عاقبه . وزعم أن النبي - صلى الله عليه وعلى آله - ليس بنبي بعد موته . ولقد قيل : أربع لا يعقل: طبع الطبايعية، وكسب الاشعرية ، وصفات الكلالية ، وبدل النجارية^٢ .

وحدثني من أثق به أنه كان يصلي بغير طهور ، وأنه مر بمسجد والناس يصلون العصر ، فقالت : متى نصلي ؟ فقال : ان كنت تريد صحبتنا فدعنا عن هذه الترهات ! وباع درهماً بدرهمين وشيء مكسورة فقيل له : هذا ربا ، فقال : كن خفيف الروح ! .

١. سورة النحل (١٦) : ٨٣ .

٢. في الفصول المختارة للشيخ المفيد ٢ : ١١٥ ثلاثة أشياء لا تعقل اتحاد النصرانية وكسب النجارية وأحوال البهشية .

ولقد أقر بالاسلام ولكن شرع في ابطاله فصلاً فصلاً . ووافق جماعة من الكفار في أقوالهم . ووافق جماعة من المجوس في أن من قدر على الخير لا يقدر على الشر ومن قدر على الشر لم يقدر على الخير . ووافق اليهود بأن النبي ليس بنبي في قبره ، وأن النسخ لا يجوز لان الكلام شيء واحد فكيف يجوز النسخ فيه . ووافق النصارى في أقوالهم ثالث ثلاثة أقانيم جوهر واحد وقد قال هو ثلاثة أشياء شيء واحد . ووافق الملحدة بأن ما يفعله المسلمون لاجزاء لهم عليه . وخالفه المعتزلي في ذلك ولزموا الطريقة المستقيمة .

وأما الكرامية فحماقاتهم أكثر من أن تحصى، وكان رئيسهم ابن كرام جاهلاً وأصحابه جهلة . وزعموا أنه تعالى جسم . وقالوا : لا يتناهى من خمس جهاته، ويتناهى من جهة العرش . وقالوا : انه نور مشرق، فوافقوا المانوية والديسانية^(١) في ذلك . وقالوا : انه محل للحوادث فلا يحدث في العالم حدث الا ويحدث قبله في ذاته شيء . وقالوا : كان الله في ما لم يزل خالقاً رازقاً بخالقه وقوته ورازقوقيته، وانه كان فاعلاً لم يزل مثيراً معاقباً مرسلاتاً للأنبياء . وزعموا أنه تعالى لم يقدر على خلق العالم قبل وجوده . وقالوا : لله علم وقدرة وحياة وسمع وبصر ، وكل اسم له معنى فهو معنى غير قديم وهى أعراض قديمة .

وذهب بعضهم الى أن له يدَيْن لا يوصفان بجسم ولا عرض، وقائله يعرف بالمازلي .

وذكر ابن كرام في كتاب عذاب القبر أنه تعالى جوهر ، وقال : أحدي الذات وأحدي الجوهر، فخالف الامة بذلك . وجوز أن يكون لله كيفية ، وذكر كيفية الرب ، وهذا يدل على جهله .

١ . فرقة من الثنوية أثبتوا للعالم أصليين نوراً وظلاماً ، لكن النور عندهم يفعل الخير قصداً واختياراً والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراراً .

وكان فيهم رجل يعرف بالشورميني ، نقض على أهل النحو قولهم :
المبتداء رفع ، وقال ليس كذلك والله يقول : « وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا » (٣)
ونقض على أصحاب الحساب وقال : يقولون ثلاثة ثلاثة تسعة ، أخطأوا فثلاثة
قلانس في ثلاثة قلانس ستة ! .

وكلهم قالوا : الله مماس العرش. وقالوا : هوفي ما يزل مرید بارادة حادثة لامحدثه . وقالوا : القرآن ليس بكلام الله وانما هو قوله حادث فيه وليس بمحدث ، ويفصلون بين الحادث والمحدث . ويقولون : الكلام قدرة على التكليم والتكلم . وقالوا : أحد لم يسمع كلام الله ، مع قوله تعالى : « حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ »^٤ . وقالوا : ان كلامه حال في ذاته لم ينزل به جبريل - عليه السلام - . وقالوا : لايجوز أن يعدم عن ذاته شيء ويجوز أن يحدث في ذاته أشياء . وقالوا : الاعراض كلها تبقى . ولهم فسي مذاهبهم أسرار شبيهة

٤. سورة التوبة (٩) ٦ .

أسرار القرامطة لا يظهرون ، منها أنهم جَوزوا أن يخرج من النار .
وكان فيهم رجل يقال له أبو يعقوب الجرجاني يقول : لله تعالى يدان هما
جسمان وله وجه وجنب وساق وكل ذلك جسم . ومنهم من قال : الله أجسام ،
فقدماه جسمان ووجهه جسم .

وقالوا : يجوز الكبائر والكذب على الانبياء . وقالوا : يجوز ظهور المعجز
على غير الانبياء .

وكان يقول بعضهم : الترك لا معنى له ، فالله تعالى لا يعاقب على قبيح وترك
واجب ، وإن كان يثيب على فعل الطاعات . وكان يقول : من استأجر أجيراً
ليفعل شيئاً فلم يفعل لا يعاقب ولكن يسقط الاجر ، وهذا ابطال للعقاب أصلاً ،
ويعرف هذا القائل بأبي جعفر .

وذكر ابن كرام بأنه تعالى ثقیل ، وفسر قوله : « إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ »^(١)
قال : من ثقل الرحمن .

وأثبتوا حوادث لا محدث لها ، لأن عندهم الاحداث لا محدث لها . وهم
أشد الناس بغضاً لأمير المؤمنين ، ويحبون معاوية ويقولون بامامته ، ولا تجد قوماً
أشد بغضاً لاهل البيت منهم . وما يوردونها من الشبه أخذوها من كتب سائر
الفرق ، خصوصاً من كتب ابن الراوندي^(٢) ، فانهم يحرصون على جمع كتبه
غاية الحرص ، وذلك يدل على قلة دينهم . ويقولون : المنافق مؤمن ، وإن
إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل ، فخالفوا القرآن والسنة والاجماع . وقالوا :
عبادة الاصنام ليست بكفر وإنما الكفر الجحود والانكار . وقد وافقوا أصناف

١. سورة الانشقاق (٨٤) : ١ .

٢. هو أبو الحسين أحمد بن يحيى بن اسحاق الراوندي ، من المتكلمين ، كان من
المعتزلة فخالفهم . نسب الى اللاحاد . مات في سنة ٢٩٨ .

الكفار في مذاهبهم، فوافقوا النصارى في أنه تعالى جوهري، ووافقوا ماني الثنوي في أنه نور، وزادوا على ماني فانهم قالوا : هو محل الحوادث، ووافقوا الدهرية في اثبات أعراض قديمة ، ووافقوا مشركي قريش العرب أن ما يسمع ويتلى ليس بكلام الله ، ووافقوا الكفار في جواز الكذب على الانبياء . وحماقاتهم لاتسع كتابنا فمن أراد الوقوف فليقرأ كتاب شيخنا أبي رشيد فيهم .

وأما الخارجية فقد علمتم أن رسول الله حكم بمروقهم ، وأنهم في مذهبهم خالفوا المسلمين وخرجوا على أمير المؤمنين وكفروا جماعة المؤمنين وسفكوا دماء هم وهتكوا حريمهم .

وأما الرافضة فطعنوا في أصحاب رسول الله وكفروهم ، وجوزوا في الدين الكتمان وفي القرآن الزيادة والنقصان ، وأبطلوا أكثر الحجج وحصلوا على سرابٍ ببقيةٍ يحسبُهُ الظَّمآنُ - الآية ،^(١) فهم يدعون الناس الى اتباع أهل بيت رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وهم منهم براء . وقد علمتم ما روي في بابهم عن رسول الله : ان مرضوا فلا تعاودوهم فان مذهبهم يؤدي الى هدم الدين .

واذا بان لك ما ذكرنا علمت أن الحق بقي فينا معاشر العدلية ، نوحده الله ولانشبهم ولانضيف اليه القبايح، بل ننزهه ونحكم بعصمة الانبياء والمرسلين ، ونجعل العمدة اتباع الشريعة ، ونجمع بين محبة الصحابة وأهل البيت . فنحن القادة ونحسن السادة وسلفنا الصحابة والتابعون وخلفنا الائمة المهتدون ، والحمد لله رب العالمين .

فما كان من مشايخنا من يجيبهم أو يورد عليهم .

١. سورة النور (٢٤) : ٣٩ .

الباب السادس عشر

فى القتال

اعلموا اخواني وساداتى أنه لما جرى بيننا مناظرات وجمعنا واياهم مقامات ، عجزنا عن المقال ودبرنا عليهم بالقتال ، وقلت لمشايعي مسن مجبرة الجن : لقد أدركت مالم تدر كوه وشاهدت مالم تشاهدوه . ولقد شهدت مقاتلة الملائكة مع الجن حتى أسرت ولبثت فيهم مالبثت ، حتى خلق آدم [فأمرت] بالسجود فأبيت ، وأخرجت من الجنة الى الارض فهبطت ، وبينى وبين آدم وذريته من العداوة ما علمتم ومن أمرى وأمرهم مارويتم . ثم شهدت قتل هابيل وأنا أحرض قابيل على قتله ، وشهدت نوحاً وأنا أمني ابنه ، وشهدت عاداً فدعوتهم فأجابوني وخالفوا رسولهم هوداً ووافقوني ، وشهدت [ثموداً] فاتبعوني ونمرود وأشباعه فقبلوا مني وأنا لقتتهم : أقتلوا إبراهيم وحرقوه ، وشهدت فرعون اذ جاءه موسى والعصا ، وكنت مع السحرة اذ جاؤوا بالسحر حتى آمنوا بموسى ، وكنت مع اليهود اذ هموا بقتل عيسى ومع قوم زكريا اذ قتلوا يحيى ، وكنت القائل لاختوة يوسف : « اُقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ »^(١) . وكنت مع مشركي قريش في مقاماتهم وأنديتهم الذين يدبرون في أمر محمد .. صلى الله عليه وعلى آله وسلم .. فشهدت دار الندوة حيث دبرنا في امره وأنا أحثهم على قتله ، وشهدت بدرأ أحث الناس على قتاله ، وشهدت

١ . سورة يوسف (١٢) : ٩ .

أحد أحتى فعلنا ما فعلنا برجاله ، وشهدت مسليمة أعينه على قتال أبي بكر وأمنيه حتى قال : أنا من جملة النبيين ، وشهدت قتل عمر وأنا أحث على قتله على يد الفجار ، وشهدت وأنا أحث الناس على قتل عثمان يوم الدار ، وشهدت صفين وأنا في عسكر معاوية أدبر معه في أمر علي وأزين له قتل عمار ، و جرى أمر النهروان وأنا بين أظهرهم وأحتهم على قتال علي - عليه السلام - ، وشهدت كربلاء مع عمر بن سعد ، وشهدت مقتل زيد وأنا في جملة هشام . ثم لم يكن موقف الاشهدتها ولاوقعة الاحضرتها . فخذوا عني ودعوا المقال وتأهبوا للقتال ! فسمعوا ، وبلغ الخبر معتزلة الجن فتأهبوا . فضممت الاطراف وجندت الجنود ، وكتبت الى أهل الوفاق في الافاق ، فأقبلت الاجناد كالجراد . فجاءني نواصب الشام ومشبهة آذربيجان ومجبرة اصفهان ومرجئة كرمان وخوارج سجستان وحنابلة هرا خراسان وقراطة عمان ورافضة قم وقاشان، وانضم اليهم الاتباع الفاوون وجنود ابليس اجمعون .

واجتمعت المعتزلة عند رئيس لهم من جن نصيبين ، وهو عندهم بمنزلة المهاجرين بقية من حضر رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ومنه أخذ دين الله ، فتابعوه وعلى السمع والطاعة بايعوه . وكتب الى الافاق يستنفرهم الى الحجاز والعراق يخبرهم ، فحضر زيدية اليمن والحجاز وعدلية الاهواز ومعتزلة خراسان وشيعة طبرستان .

وتوافقنا للقتال ، وسوينا الميمنة والميسرة والقلب ، ووقفت في القلب أرباط القلب في لجب الجيش ، وبين يدي راية سوداء وهي راية أبي سفيان تبركاً بشأنه . وسووا الصفوف وفيهم راية بيضاء راية علي ، تيمناً به وبأمره . وسوينا الصفوف وأشرعنا الرماح والسيوف . وهم مرة يتلون : « ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمَن ذا الذي ينصركم مَن

بَعْدَهُ^(١) ، ومرة : « قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ »^(٢) ،
ومرة : « قَاتِلُوا أُمَمَةَ الْكَفَرِ »^(٣) و « كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً
كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ »^(٤) . وكَبَرُوا تكبيرة بلغت القلوب الحناجر وكلت الاسنة
والخناجر وتزازت الاقدام ونكست الاعلام ، وكَبَرُوا ثانية فانهزم الرجال
والفرسان ولحقوا بالادوية والغيران ، لايلوي أولهم على آخرهم ولايقف
كبيرهم لصغيرهم .

وبقيت فريداً وحيداً ، أصبح بهم وأنادى : هاأنا ! الي الي ! ما هذا القشل؟
لايبالون بسبالي ولايلفتون الى مقالي . فلما لم يبق معي راجل ولا فارس ولا
رامح ولا تارس ، هربت اذهربوا وذهبت حيث ذهبوا . والقوم خلفنا يركضون
ويتلون : « فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ »^(٥) ، ومرة يتلون : « وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
الْقِتَالَ »^(٦) ، ومرة يقرؤون : « قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ
وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ »^(٧) . فنحن بين مقتول
ومأسور ومهزوم ومجروح ، لحقنا بالجبال ولزمتنا القتال ، وكتبت أستنفركم
وأستنصركم . فبادروا اخواني وأغيثونا نكن يداً على دفعهم ومنعهم ، وان لم

١ . سورة آل عمران (٣) : ١٦٠ .

٢ . سورة التوبة (٩) : ٢٩ .

٣ . نفس السورة : ١٢ .

٤ . سورة البقرة (٢) : ٢٤٩ .

٥ . نفس السورة : ٢٥١ .

٦ . سورة الاحزاب (٣٣) : ٢٥ .

٧ . سورة التوبة (٩) : ١٤ .

تجيبوا فلا جبر بعد اليوم ولا تشييه ، وأبىدت جنودي أجمعون . وكان ذلك أمر
عظيم وخطب جسيم . تـم .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى أهل
بيته الأطهرين .

فهرست الاعلام

ابوالمعالي ٦٧	ابراهيم الخواص ٨٩
ابوعثمان الجاحظ ٨٣	ابراهيم النظام ٧٠، ٧٦، ١١٣
ابوعلى الثوى ٧٠	ابن بالويه المجبر ٧٨
ابوعلى الجبائى ١١٣	ابن الراوندى ١٢٤
ابوعلى الحافظ النيسابورى ٣٤	ابن المهاجر ١٣٣
ابوعمران ٤٣	ابوالاسود ٣٤
ابوعمر بن العلاء ٦١	ابوالاسود الدثلى ٦٩
ابوالعلاء ٤٣	ابوالحسن الاشعري ٣٨، ٧٣، ١٠٨،
ابوالقاسم الزجاجى ٣٤	١١٤، ١٣٠، ١٣١
ابومجالد - احمد بن الحسين البغدادي	ابورشيد ١٣٥
٥٠	ابورملة المجبر ٧٨
ابومجالد ٨٨	ابوشجاع ١١٣
ابومحمد المزنى ٥١	ابوشعيب ٧٨
ابوموسى المردار ٧٩، ١١٣	ابوعامر الانصارى ٤٣، ٦٩
ابوهاشم الجبائى ١١٣	ابوالعباس البصرى ١٣٠
ابوهاشم المجبر ٧٦	ابوالعباس الضرير ٦٩
ابوالهذيل العلاف ٤٥، ٤٦، ٥٠، ٥١،	ابوالعباس القلانسى ٣٦، ١١٤
٦٩، ٧٠، ٧٧، ١١٣	ابوالعباس بن محمد الهاشمى ١٢٩
ابوعقوب الجرجانى ١٣٤	ابوعبد الله الجدلى ٨٣
ابوعقوب المجبر ٧٠	ابوعبد الله الحنفى ٧٠
احمد بن ابي دوداد ٢٧	ابوعبد الله الموسوس ٦٠

صاحب بن عباد ٢٨، ٥٩، ٧٤، ١٠٤،
 ١٢٠، ١٢١
 صقر المجبر ٦٨، ٧٦
 ضرار بن عمرو ١١٤
 عبد الجبار - القاضي ١١٣
 عبد الله بن داود ٤٦، ٤٩، ١٠٩
 عبد الله بن محمد بن كلاب ٣٦، ٧٣،
 ١١٤، ١٣٠، ١٣١
 عيدان ٧٨
 عروة بن محمد ٦٨
 عضد الدولة البويهى ١٣٠
 عمرو بن عبيد ٦١
 عمرو بن فائد ٤٨
 غيلان ٢٧، ٥٨، ١١٣
 فضيل بن عياض ٦٧
 قتادة ٣٥، ٧٢
 المأمون ٢٧، ٦٦، ٦٧، ٧٠، ١١٣
 المبرد ١٢٧
 محمد بن اسحاق بن خزيمة النيسابورى ٣١
 محمد بن الاسود ٣٢
 محمد بن الحسن الشيبانى ١١٣
 محمد بن السائب الكلبى ٧٥
 محمد بن سليمان ٤٩
 محمد بن عيسى برغوث ١١٤
 محمد بن كرام النيسابورى ٢٩، ٣٨،
 ١١٩، ١١٤، ١٣٢، ١٣٤

احمد بن حنبل ٨٨
 احمد بن راهويه ٣٦
 احمد بن عباس ٣١
 امية بن ابي الصلت ١٠٠
 الباقلانى ١٣٠
 بشر بن المعتمر ٣٤، ١١٣
 البطيخى المجبر ٦٩
 ثمامة بن اشرس ٦٦، ٦٧
 جابر بن يزيد الجعفى ٣٥
 جعفر بن سليمان ٤٥، ٤٦
 جعفر بن محمد الصادق ٥٨
 جهم بن صفوان ٦٥، ٦٩
 حسن البصرى ٢٥، ١١٢
 حسين بن على الجعل ١١٣
 حسين النجار ٧٣، ٧٦، ٧٧، ١٢٩،
 ١٣١
 حفص القردي ٥١، ٦٩، ٧٠، ١١٤
 حماد بن سلمة ٣٢
 داود الظاهري ٣٦، ٥٠
 ركن الدولة البويهى ٢٨
 زفر بن الهذيل ١١٣
 زيد بن على ٩٩، ١٣٧
 سلام القارى ابو المنذر ٥٩، ٦٤، ٧٩
 سيفويه القاص ٤٢
 الشافعى ١١٣
 الشورمينى ١٣٣

هشام بن الحكم ٥٠
هشام بن عبد الملك ٩٩ ، ١٣٧
الهليلجي ٣٠
الوائق العباسي ١١٣ ، ٧٥
وليد بن يزيد الاموي ٢٧ ، ٩٩
يحيى بن اكرم ٦٧
يحيى بن كامل ٧٥ ، ١١٤
يحيى بن معين ٣٥
يزيد بن الوليد الاموي ٢٧

محمد بن واسع ٥٨
محمود الوراق ٥٢ ، ٦٠
مروان الحمار ٩٩
معاذ العنبري ٣١ ، ٣٢ ، ٥٠
المعتصم ١١٣
مكحول ١١٣
مكتف المجير ٤٥ ، ٤٦
الموفق العباسي ٥٠
النظام ٧٠ ، ٧٦ ، ١١٣
نينون النصراني ١٣٠

فهرست الابواب

٣	مقدمة المحقق
	الكتاب
٢٠	الباب الاول - في ما صدر به الرسالة من الشكوى
٢٩	الباب الثاني - فى التوحيد والتشبيه
٤١	الباب الثالث - فى العدل
٥٦	الباب الرابع - فى القضاء والقدر وذكر القدرية
٦٥	الباب الخامس - فى خلق الافعال
٧٢	الباب السادس - فى الاستطاعة
٨٢	الباب السابع - فى الارادة والكراهة
٨٦	الباب الثامن - فى القرآن
٩٠	الباب التاسع - فى النبوات
٩٥	الباب العاشر - فى الامامة والامر بالمعروف
١٠٤	الباب الحادى عشر - فى الاجال والاموال والارزاق
١٠٧	الباب الثانى عشر - فى جزاء الاعمال والوعيد
١١٠	الباب الثالث عشر - فى ذكر السلف
١١٦	الباب الرابع عشر - فى المقامات والحكايات
١٢٨	الباب الخامس عشر - فى ذكر المذاهب
١٣٦	الباب السادس عشر - فى القتال
١٤١	الفهارس



**Elmer Holmes
Bohn Library**

**New York
University**